



ما وراء الطبيعة

75

أسطورة الطُّفَيْل

د. أحمد خالد توفيق

مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفـــاس
من فرط الغموض والإثارة



د. أحمد خالد توفيق

أسطورة الطُّفَيْل

الطفيل : كائن يعيش ويتغذى
على كائن آخر ، ولا يساعده على الحياة ..
أو هو الشخص الذى يستغل كرم الآخرين
ولا يقدّم لهم شيئًا بالمقابل .
فى العربية ، الطفيلى هو : الشخص الذى يدعو نفسه
لكل مَأدُبَة ، وفى الإغريقية بارازيتوس parasitos ،
وهو : ضيف العشاء المحترف الذى لا يقدّم شيئًا سوى
تسلية الأغنياء ..
قالوا قديمًا : « إن القبور تعجُّ بالشجعان الذين
افتقروا إلى الحظ الحسن » ، ونضيف هنا
« أنها تعجُّ بمن يصدّقون تعريفات
القواميس ! »

العدد القادم

أسطورة معرض الرعـ





الثمن فى
وما يعادلـه بالـ
فى سائر الدول العربية والعالم

75

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة الطُّفَيْل

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايــــات تحبـس الأنفـــــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصـنف مصـرى مائـة فى المـائـة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقـل عن أية قصص أوربية .

●

إشراف
الأستاذ / حمدى مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ــ المطابع 8 ، 10 شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ــ منافذ البيع 10 ، 16 شارع كامل صدقى الفجالة ــ 4 شارع الإسحاقى : بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ــ القاهرة ت : 26823792 ــ 25908455 ــ 22586197 ، فاكس : 202/2596650 ج.م.ع ــ
الإسكندرية 4 شارع بدوى / محرم بك ــ ت : 03/4970840 ــ 03/4970850

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط
الغمـوض والرعـب والإثارة

75

أسطورة الطفـل

بقلم : د. أحمد خالد توفيق

الغـلاف بريشـة : أ. أيمـن القـاضى



المقدمة

الفتاحة فى مكان ما هنا ..

من الممكن أن يقترح أحد الأذكياء أن أستغنى عنها ، وهذا يدل على أنه رجل عبقرى .. رجل قـدر على فتح علبة من السلامون بأسنانه . أنا لست مـن هـذا الطراز لذا يجب أن أقوم بهذه المغامرة البهلوانية ، وأقف على كرسى المطبخ الذى وضع على كرسى آخر ، ثم أمد ذراعى لنهايتها بحثًا فى ذلك الرف أو ذاك ..

كنا نتحدث عن الرعب ..

الرعب قد يكون من أشياء لا تخطر ببال .. ماذا عن عجوز وحيد مريض تهشم عنق فخـذه يرقـد على أرض المطبخ ، فى بناية سكانها مصابون بالصـمم ـ جربت هذا مرارًا ـ بينما أم (شخص ما) التى تأتى للعنـاية بشئون البيت لن تظهر قبل يومين ..؟

بالتأكيد سيموت جوعًا .. سيموت عطشًا .. ميتة مرعبة ومن الصعب أن تتخيلها لمن رأى كل ما رأيت ..

إذن لا داعى لهذه الحماقة .. لكنك تعرف قصص الرعب هذه .. (متلازمة الضحية الغبية Stupid victim syndrome) حيث

تتصرف الضحية بغباء لا يصدق ، وهذا يدفع القارئ / المشاهد لأن يشد شعره .. دعك من أننى جائع فعلاً..

هذه هى الفتاحة . عظييييييييم !

يمكن القول بلا مبالغة إننى نجوت هذه المرة ، أما التساؤل المنطقى عما حمل الفتاحة إلى ذلك المكان فلا محل له من الإعراب .. لقد قبلت منذ زمن حقيقة أن شقتى تعج بهم .. بهم ؟.. من هم ؟.. يبدو أنك لم تكن تصغى لقصصى جيدًا ..

علبـــة السلامون منتفخة أكثـــر من الـــلازم . تبدو كأنها على وشك الانفجار . الســـمك لا يبدو بحالة جيدة ولا يبدو نضرًا .. نوع آخر من الرعب لأن البوتيوليزم Botulism أو داء (السجقية) الناجم عن أكل المعلبات الفاسدة قاتل دائمًا ، ويحتاج لعلاج سريع .. تخيل ذلك العجـــوز الـــذى يرقد على الأرض مشلولاً بفعل السم ويحـــاول الوصـــول للهاتف قبل أن تشل عضلاته التنفسية .

هناك الكثير من المرح فى الحياة ... أقـــول هذا وأنا أهرس السمك بالشـــوكة فى طبق وأضيف الكثير من الزيت والليمون وأقطع بصلة ...

لابد من تسخين الخبز المجمد فى الفرن.. وبالطبع لابد أن ينفجر الفرن فى وجهى عندما أشعل الثقاب لأن غبيًّا ما فتح المفتاح والفرن منطفئ ، وهكذا تحول الفرن إلى قنبلة موقوتة تنتظر شرارة .. تخيل العجوز المحترق الوحيد يزحف كالسحلية على أرض المطبخ باحثًا عن الهاتف ..

أقول هذا وأنا أضع فى الفرن المشتعل رغيفًا من الخبز ...

عم كنا نتكلم ؟

عن الرعب .. نعم .. ليس هذا الرعب الوديع الذى نألفه جميعًا ، ولكنكم هنا للكلام عن الرعب غير المعتاد .. لابد من وباء غامض أو قبور تنفتح أو شياطين أو أنياب تنغرس فى الأعناق أو ...

أو طفيل ..

(هن تشو كان) .. الطفيل ... أشرف .. لم أحك هذه القصة بعد . كلما حسبت أننى أنهيت كل شىء برزت قصة مهمة إلى السطح ..

سوف أحكى القصة طبعًا .. يمكنكم سماعها وأنا ألتهم السلامون فى نهم . بينى وبينكم لا يبدو مذاقه طبيعيًّا جدًّا ..

على كل حـــال يمكنكم طلب الإسعاف لو بدأت أعراض التسمم تظهر على .. لا مشكلة سوى أننى لن أجد الوقت الكافى لأنهى هذه القصة .. هـــل تسمحين وتتفضلين بأن تعـــدى لى كوبًا من الشاى ؟.. لا أمقت شيئًا مثـــل انتظار غليـــان الماء لمدة ثلاث سنوات وأنا فى أمسّ الحاجة لكوب الشاى .. شكرًا .. فتاة رقيقة وجميلة أيضًا لو فكرنا فى الأمر ..

سوف أحكى قصة اليوم بطريقة (المسرحية ـ الرواية) التى ابتكرها توفيق الحكيم فى رائعته (بنك القلق) ، وقد اختار لها اسم (مسرواية) . نحن إذن على موعد مع مسرواية ..

هل تسمعون ؟..

جميل .. جميل .. لن أكرر ما قلت لذا أرجو أن تصغوا لى ..

تمهيد

بدأ كل شىء فى تلك الليلة المظلمة المدلهمة فوق التبت ..

الرهبان البوذيون من أتباع الناقلة الكبرى (ماهايانا) كانوا يمشون فوق الثلوج مردين تراتيلهم ، عندما صاح أحدهم وهو ينظر إلى السماء :

ــ « ما هذا ؟ »

كان ذلك النيزك يشق الفضاء متجهًا إلى موضعهم بالذات ..

أصابهم الهلع فتفرقوا ، بينما حدث الارتجاج بقوة واهتزت الأرض وتناثر الثلج ..

وعندما وقفوا كانوا يشعرون بأن شيئًا قد تغير فى أعماقهم .. كانوا يشعرون بالوهن والضعف وجوع شديد .. وهكذا عاد الرهبان إلى الدير القابع فى الثلوج ، وهناك كان زملاؤهم يتلون فقرات من البهاجافادجيتا ..

كان هناك جو عام موجس يحيط بهم منذ دخلوا والثلج يكسو ثيابهم ..

فى اللحظة التالية حدثت كارثة .. لقد راحوا يلمسون كل راهب وجدوه وكل شيء حى .. وكان من يلمسونه يسقط أرضًا وقد خارت قواه أو ميتًا ..

لقد كان ذلك الشيء يمتص سر الحياة من الموجودين بالداخل ..

يمتص طاقتهم ..

يمتص حيويتهم ..

وفى كل لحظة كان يكبر فى الحجم ويتمدد ..

لقد سيطر على الدير بالكامل لكنه بحاجة إلى مليون روح ومليون عقل ومليون طاقة حيوية يمتصها .. كلما كبر لن يقدر شيء على قهره ..

هكذا خرج يمشى فى الثلوج .. لا نجاة لثور أو ذئب أو أرنب ثلوج .. كل شيء يندمج فى ذاته العملاقة المخيفة ..

هناك فى الفضاء كانت هذه طريقته فى الحياة وقد جاء ينقل لنا هذه الطريقة ..

هل يمكننا القضاء عليه قبل فوات الأوان ؟.. هل من مفر من هذا المصير الأسود ؟

هذا ما سنعرفه فى الصفحات التالية ...

* * *

هاها !!

رائع !!

لو أنكم رأيتم وجوهكم وأنتم تسمعون هذا الجزء !!

النظرة فى عيونكم تقول بوضوح : هل هذا كل شىء ؟.. سمعنا هذه القصة ألف مرة من قبل ..

كنت أداعبكم لا أكثر ..

بالطبع ما كنت لأحكى لك قصة بهذا السخف ، يمكنك أن تكمل أحداثها كلها قبل أن تقرأ نصف صفحة .. لابد أننى قرأت نفس القصة فى مجلة سوبرمان 4567 مرة .. دعك من المشهد النهائى الضخم حيث تحاصر مدرعات وطائرات الجيش الأمريكى ـ المصرى فى حالتنا هذه ـ الشىء الثائر الذى لا يكف عن التمدد .. والمقدم (نادر حازم) ذو الاسم الملفق يطلق الرصاص بلا توقف . جحيم كامل من الطلقات والنيران ، ثم ينفجر الشىء وينتهى .. ربما يزرع نفسه فى بعض العقول وبهذا تضمن أن يكون للقصة أجزاء أخرى !

برغم كل شيء أرى في عيون صغار السن حماسة .. يبدو أن هذا الكلام الفارغ بدأ يروق لهم ، وهم فعلاً يرغبون في معرفة ما سيحدث ..

للأسف يا أحبابي ليست هذه قصتنا اليوم .. فقط هي دعابة ثقيلة من دعاباتي لا أكثر ..

تعالوا الآن ننسى هذا الكلام الفارغ ولنبدأ القصة الحقيقية التي أدعو الله ألا تجدوها أسخف من هذه بعد انتهائها !!

الجـــزء الأول

شىء قـادم

« ابحث فى بلدك الثانى .. الإجـابة فى بلدك الثانى .. ليس البلد الذى أخرجتك فيه أمك للحياة باكيًا عاريًا . ابحث بين قومك الآخرين .. ليسوا هؤلاء الذين نشأت معهم ولهوت معهم فى الثلوج . ابحث فى وجوه أخرى ليست كالوجوه التى ألفتها . ابحث فى قلوب أخرى تجهل عنها كل شىء .. »

ـ 1 ـ

حياة معقدة تلك التى اختارها (هن ـ تشو ـ كان) لنفسه هناك حيث عاش قرب سقف العالم ..

نعم .. التبت فى الهيملايا هو سقف العالم فعلاً ..

إنه يعمل مع الصينيين كمترجم ومفاوض ، وفى هذه اللحظات يتحول إلى شيوعى من الدرجة الأولى ويتكلم بلغة (الحزب) و(البروليتاريا) و(الكومنترن) ويحمل كتيب تعليمات (ماو تسى تونج) الأحمر الصغير فى جيبه.. ثم ينفرد بنفسه فيتحول إلى مواطن من التبت يحاول مساعدة أهله قدر الإمكان ..

كما قلنا هو ليس بوذيًا بل يعتنق عقيدة منقرضة هى النافاراى .. العقيدة التى كونت كل ثقافته وكل خلية من جسده ، لكنه يعرف أن قومه انقرضوا فلم يبق سوى أن يتشبث بأثر واه خافت هو البوذية ، برغم أنه لا يؤمن بها ...

التبت .. بلد الأسرار .. أرض الغموض والطلاسم ...

كان يبتعد عن لهاسا قدر الإمكان لأنها العاصمة ، وقد تعلم أن العواصم خطرة دائمًا .. يفضل المـدن الصغرى مثـل (ساكيا) و(ناجتشو) ...

كان يدرك تمامًا أنه آمن .. لا أحد يذكر النافاراى ، ولو قيل إنه من النافاراى فلن يصدق أحد حرفًا .. فقط عليه أن يحيى هذه العقيدة .. يجب أن يرثها أحد بعده . لا يجب أن تموت معه .

من الأديرة القليلة جدًا التى لم يهدمها الصينيون كان دير (نيينجما) .. قرب ناجتشو ..

* * *

عينـــاه مرهقتـــان من قلة النوم ، شاحب الوجه ، متوتر قليلاً وهو الهادئ بطبعه مهما حدث ..

هذه الملامح أعرفها ... معالم رجل حائر لا يعرف إلى أين المسار .. هل الباب الأيمن أم الأيسر ؟

يدخل (هن ــ تشو ــ كان) الدير .. يلقى نظرة على الأبراج الحجرية المميزة والأجراس المعلقة التى لا تكف عن الرنين ، لأن المؤمنيــن يهزونهــا طيلة اليــوم ، ثم ينظــر إلى الفلاحين الواقفين بانتظـــار خروج الرهبـــان .. معظمهم مرضى يطلبون الشفاء .. المجذومون بأنوفهم المجدوعة وأصابعهم المبتورة جاءوا .. النساء اللاتى لم ينجبن .. الرجال الذين أصابهم الفالج ..

كلهم يطلب فرصة للقاء الكاهن ، ومن الواضح من شكل المجذومين أنهم فشلوا فى هذا المطلب على مدى عقود !

معنى مذهب (نيينجما) أصلاً هو (القدماء) .. وهو المذهب الأصلى الذى أسسه (بادما سامبافا) .. بشكل ما يعتبر هو العقيدة الأرثوذكسية (الصحيحة) بالنسبة لبوذيى التبت ..

لكم من قرون مرت !... فى زمن آخر كان هؤلاء خصومك .. اليوم هم التراث الوحيد الباقى من ذكرياتك وأنت تجاهد للاحتفاظ به ..

تعبر ممر الشموع نحو القاعة الحجرية التى يجلس فيها الكاهن الأكبر أمام مجلداته العملاقة . يتربع على الأرض .. مسنًا مثلها .. كأنه شجرة سرو عجوز غرست الجذور فيها .. يرشف الشاى بالزبد ..

تنحنى أمامه وتقترب على ركبتيك .. أنت من القلائل الذين يمكنهم الدنو لهذه الدرجة من الكاهن الأكبر ..

يقول لك بصوته الواهن :

ـ « أنت كالريح الغربية .. لا تأتى إلا فيما ندر أيتها (الزهرة الزرقاء) .. وكالريح الغربية أنت تجلب الكثير من الرؤى .. »

تقول له :

ـ « سامحنى أيها الأب .. إنما هم الصينيون .. لست حرًّا فى التنقل كما كنت .. »

ـ « كلنا يعرف هذا لكن علينا أن نلزم الصمت .. ليس كل ما يُعرف يُقال .. الغابة العجوز تكتم أسرارها كى تورق أشجارها وتتشابك أغصانها .. »

ثم يرشف جرعة أخرى من الشاى .. وينظر لكتابه من وراء حاجبيه الكثين الشبيهين بغابة تتدلى غصونها على ضفة نهر ، ويقول :

ـ « بحثت طويلاً فى المسألة التى سألتنى جوابًا عنها .. »

ترهف السمع فى قلق منتظرًا إجابة .. لو كانت هناك إجابة فهو يعرفها .. لا شك فى حكمة هذا الرجل ..

يقــول :

ـ « ابحث فى بلدك الثانى .. الإجابة فى بلدك الثانى .. ليس البلد الذى أخرجتك فيه أمك للحياة باكيًا عاريًا . ابحث بين قومك الآخرين .. ليسوا هؤلاء الذين نشأت معهم ولهوت معهم فى الثلوج . ابحث فى وجوه أخرى ليست كالوجوه التى ألفتها . ابحث فى قلوب أخرى تجهل عنها كل شىء .. »

تقول أنت فى شىء من المراوغة :

ـ « ليس لى بلد ثان .. أنا ابن التبت .. »

ـ « إذن سل نفسك السؤال مرتين .. لو كان لى بلد ثان فأين هو ؟.. لو كان لى قوم آخرون فمن هم ؟ »

ثم رفع نحوك إصبعًا طال ظفره فبدا كالمخلب المرتجف ، وقال :

ـ « إن فى قلبك بابًا مغلقًا لم يفتحه أحد.. وهذا الباب يوشك على أن يذهب معك .. عليك أن تقتاد بشريًا تعلمه موضع الباب وكيف يفتحه .. »

ثم أغمض عينه وبدأ يصدر ترنيمة طويلة من ترانيمهم ....

وعرف (هن ـ تشو ـ كان) أنه لن يحصل على معلومات أخرى .. لقد انتهت المحادثة .

هكذا تراجع للخلف على ركبتيه دون أن يستدير توقيرًا للكاهن العظيم ..

عندما بلغ الباب خرج ووقف على قدميه ، بينما التف حوله الفلاحون الفقراء يضمون أيديهم كزهرة اللوتس توقيرًا له .

ومنهم من راح يمسد على كتفيه أو يمسح على شعره باعتباره نال البركة .. لقد قابل الكاهن الأكبر .. هذا شرف عظيم ..

كان (هن ــ تشو ــ كان) شارد الذهن ..

بلد ثان .. أناس آخرون .. الكاهن لا يعرف أى شىء عن تفاصيل حياته الأخرى ، لكن (هن ــ تشو ــ كان) يعرف أن له بالفعل بلدًا آخر هو مصر التى بلغها يوم فر من عالمه هاربًا من خصومه . أصدقاء آخرون مثل (رفعت) الذى استضافه فى بيته ..

هناك يكمن الجواب عن سؤاله المحير ..

إنه لا يعتنق البوذية ، لكنه يعرف أن هؤلاء القوم حكماء . ربما هى حكمة فطرية فى البشر لا تنضوى تحت لواء عقيدة معينة ، فقط هو تعلم أن يتعامل مع كلماتهم بجدية ..

من الواضح أن عليه الذهاب لمصر ..

– 2 –

(**فى شقة رفعت**)

رفعـت :

أنا فعلاً سعيد بلقائك برغم أننى من الطراز الذى لا يرحب أبدًا برؤية صديق .. صدقنى .. حتى لو كنت أبدو مكتئبًا ومتضايقًا فهذا لا يعنى شيئًا .. أنا من الطراز الذى لا تبدو السعادة على وجهه ..

هن ـ تشو ـ كان :

هذا يسرنى يا (ريفاات) .. أنا مثقل بالمشاكل حقًّا ويسرنى أن أرى وجه صديق .. لم أر مصر منذ فترة لا بأس بها ..

رفعـت :

ورأيك ؟

هن ـ تشو ـ كان :

تزداد ازدحامًا والناس يزدادون عصبية . فى التبت يمكنك أن تمشى مسافات طويلة إلى أن تلقى إنسانًا ودعنى أؤكد لك أن هذا يجعل النفوس رحبة هادئة ..

رفعت :

فى زيارتك القادمة أعدك أن نقتل مليونى مواطن كى تجد الأمور مناسبة لك .. هل جئت للعمل ؟

هن ـ تشو ـ كان :

للعمل نعم . لكن ليس فى شئون البيزنس .. نوع آخر من العمل . كنت مع الملحق الثقافى الصينى صباح اليوم ، وقد طلبت منه قائمة من الأشياء ..

رفعت :

لا تبدو راغبًا فى شرح المزيد .. لهذا لن أسأل ..

هن ـ تشو ـ كان :

لم أقل هذا .. على الأرجح سأشرح لك كل شىء .. أنت تعرف عنى قدر ما أعرفه عن نفسى .. بالواقع أنت أعلم الناس بأمرى على وجه الأرض فى اللحظة الحالية . وأنت الوحيد الذى يصدق ..

رفعت :

أؤكد لك أننى لا أريد أن أثقل عليك .. هلم انس الأمر برمته .. أرجوك .. قدم لى هذه الخدمة ولا تحك لأن ضميرى سيؤنبنى فعلاً ..

هن ـ تشو ـ كان :

لكن ....

رفعــت :

والآن هل ستقيم فى دارى ؟.. أنا أرحب بهذا بشرط أن تتنازل عن التمارين الليلية التى تزعج جيرانى وتجعلهم يطلبون الشرطة .. لا شك أنك لم تتخل عنها لحظة .. أرى من تكوين جسدك المتحفز كالنمر أنك لم تفقد شيئًا من لياقتك . أنت تتدرب بانتظام ..

هن ـ تشو ـ كان :

لياقتى الجسدية جزء من دينى يا (ريفاات) .. جزء من فهمى للطبيعة والتحامى بها ..

رفعــت :

نعم .. نعم .. لو كانت فى عقيدتكم جنة ونار فأنا حطب جهنم إذن .. لا يمكن لهذا الجسد المرهق المستهلك أن يدخل جنتكم .. ولكن لم تقل لى هل ستقيم عندى أم لا ..

هن ـ تشو ـ كان :

أنا أقيم فى فندق يا (ريفاات).. تعرف أننى اعتدت هذا منذ عدت للتبت .. لن أثقل عليك .. وقت التدريب أذهب لمكان مقفر لا عيون فيه ، وأمارس التدريب وأقرأ الشوكارا ..

رفعت :

جميـــل .. جميـــل .. ثق أنى أشـــعر بحسرة لأنك لم تقم فى بيتى .. إننى حزين جدًّا وإن كان وجهى من الطراز الذى لا يعكس الحزن جيدًا .. هل ترى أن نخرج لتناول العشاء فى مكان ما ؟

هن ــ تشو ــ كان :

أرحب بهذا يا (ريفاات) .

* * *

(**صخب المطعم**)

رفعت :

ألاحظ أنك لا تأكل تقريبًا .. لم تمس الدجاج واكتفيت بشرب كوب من الماء ..

هن ــ تشو ــ كان :

السبب أن الظلام يفعم قلبى .. عندما يفعم الظلام قلبى يضغط على أحشائى فلا أقدر على ابتلاع لقمة ..

رفعت :

يا ساتر .. إلى هذا الحد ؟.. هذا يؤهلك للتفوق فى مادة البلاغة الأدبية ، والرسوب فى مادة التشريح .. هل يمكن أن تعطى تلميحًا عن السبب .. بلا تفاصيل ..

هن ـ تشو ـ كان :

السبب هو أن العمر يتقدم ، وأنا وحيد .. لم أنقل خبراتى لأحد ولم أعلم (نافاراى) جديدًا .. أنا النافاراى الأخير ومن بعدى لا شىء .. كأنهم لم يوجدوا قط ...

رفعت :

إحم .. هل ما فهمته من كلامك هو حاجتك إلى الزواج أخيرًا ؟.. هل جئت مصر تبحث عن عروس ؟.. وكم من الفتيات المصريات ستقبل أن تتزوج كاهن نافاراى متقاعدًا فى رأيك ؟

هن ـ تشو ـ كان :

لا .. لا تنظروا لهن يا أناندا ..لا تكلموهن يا أناندا .. لم أنس كلمات جوتاما .. النافاراى أو من نذر نفسه ليكون نافاراى لا يتزوج . أنا أبحث عن ابن روحى .. عن تلميذ...

رفعت :

جميل جدًا .. يمكن أن تجد هذا الشخص فى التبت .. إنه سيحمل ثقافتك وخلفيتك الاجتماعية ..

هن ـ تشو ـ كان :

ليس الأمر بهذه السهولة .. على كل حال ليست هذه هى المشكلة الكبرى .. المشكلة الكبرى هى أن الأخ (ميانج) يزورنى كثيرًا فى المنام .. الأخ (ميانج) الذى علمنى كل شىء فى حياتى السابقة ..

رفعت :

حياتك السابقة كلام غيرِ دقيق .. فأنت لست تناسخًا وفى رأيى أنه لا وجود للتناسخ أصلاً .. لنقل : فى الماضى ...

هن ــ تشو ــ كان :

حسن .. يزورنى بإلحاح يطالبنى بأن أبحث فى كتاب شوكارا .. يلقننى أماكن حروف معينة .. إن الشوكارا مكتوبة بلغة تبتية قديمة جدًّا تختلف عن اللغة المركزية المستعملة فى (لهاسا) ، وأنا أفهم الشفرة التى يحاول نقلها لى وإن كنت لم أدرك معناها .. لكنه فى كل مرة ينهى رسالته طالبًا منى أن أسأل الكاهن (شوتار ــ ما) .

رفعت :

ولماذا لا يقول ما يريد بوضوح ؟

هن ــ تشو ــ كان :

كل الأطياف تتصرف بهذا الشكل .. أعتقد أن على كلامهم رقابة شديدة تمنعهم من التصريح .. بل التلميح . هذا شىء

كعالم الأحلام حيث يعطيك الحلم رموزًا غامضة تشير للحقيقة بوضوح لو استطعت فهمها ..

رفعــت :

وأنت سألت هذا الكاهن .. ما كان اسمه ؟

هن ـ تشو ـ كان :

(شوتار ــ ما) .. إنه كاهن ديــر (نيينجما) .. قــرب ناجتشو.. قال لى إن الجواب عن سؤالى يكمن فى حياتى الثانية وعالمى الثانى ... طبعًا هو لا يعرف حرفًا عن الموضوع .. لقد تأمل فحلم بالإجابة . لا أكثر ..

رفعــت :

أى أنه لا يعرف الجواب .. فقط يعرف من يعرف الجواب .. هذا يعقد الأمور أكثر.. وما هو الضرر من تجاهل هذه الرسالة الغامضة ؟

هن ـ تشو ـ كان :

يقول الأخ (ميانج) إن الإجابة قد تعنى مستقبل عالمنا كله !

— 3 —

كنت جالسًا مع (هن ـ تشو ـ كان) فى ذلك المطعم الفاخر الصغير فى وسط القاهرة . إنه أقرب لمكان ضيق يعرف زبائنه جيدًا . خافت الإضاءة مع موسيقا هادئة ، ومجموعة من الزبائن الغربيين غالبًا .. هناك جـو حميم أحبه فى هذا المكان ، لكنه باهظ الأسعار فعلاً فلا أقدر أن أجعل هذه عادة ..

ما زال (هن ـ تشو ـ كان) هو الكاهن الأخير .. لا يشيخ أبدًا وهو مشدود كوتر القوس منتصب القامة ، يوحى بشىء من التوتر والعصبية برغم أننى أعرف أنه آخر شخص يمكن أن تنطبق عليه صفة العصبية .. إنه هادئ كاللبن الرائب يتأمل كل شىء ويحاول أن يغوص فى الكائنات والموجودات . عندما تحط ذبابة على ساعدك فهى ذبابة .. بالنسـبة له هى أختـه فى الوجود ، وهو يحاول فهم كيف تتحد جزيئاتها لصنع هذه المعجزة...

كما قلت من قبل ، هو متأنق جدًا فى ثيابه يذكرك أكثر شىء برجل أعمال ناجح مـن (هونج كونج) ، فلا يمكن أن يتصور أحد منظره عنـدما رأيتـه أول مرة فى قريتى . بالأحرى لن

يتصور أحد منظره فى عالمه بالثياب القديمة والضفيرة على كتفه . إن له ذيل حصان قصيرًا الآن لأن الموضة صارت تسمح بهذا نوعًا ، لكنه ما زال عصريًا جدًّا وبالطبع يضع النظارة السوداء على عينيه فيبدو باردًا مسيطرًا ، بينما أنا أعرف أن عينيه قلقتان سريعتا الحركة كعينى الحرباء .. أعرف كذلك أنه يثبت كتاب الشـوكارا المغلف بكيس مـن المشمع إلى جسده بشريط لاصق . لا يثق بخزائن الأرض كى يتركه فيها وهو كذلك لا يثق بمن ينسخه له ..

كنا جالسين .. هو لا يأكل ، ويتكلم حاكيًا عن معضلته تلك التى لم أتبين أبعادها بعـد . لا توجد معضلة على قدر علمى تجعلك تشد الرحال من التبت إلى هنا خصيصًا .

سألته وأنا أمسح فمى بالمنشفة :

ــ « ليكن .. نحن فى خطر داهم كالعادة . هل توصلت لشىء من هذه الحروف ؟ »

مد يده يبحث فى جيب سترته ثم أخرج ورقة مطوية ، فتحها فوجدت عليها كتابة بلغة التبت جميلة جدًّا .. قطعـة زخرفية رائعة تصلح لسجادة ممتـازة . لكنى أعرف هـذه الكتابات

الآسيوية .. تذكّر تلك الصحفية الأمريكية التى رأت حروفًا صينية جميلة فى قائمة مطعم ، فصورتها وطبعتها على قميص لها ، ثم اكتشفت ــ عندما سافرت للصين ــ أن النص يقول : رخيصة لكنها شهية !!

།སྒྲ་འཕྲུལ་སྙིང་པོའི་ལ་ཤད་སྒྲུབ་ཀྱི
།ཐབས་མ་ཆོག་རིགས་ལྡེ་སྒྲུ་འཕྲུལ་
།ཞེས་རབ་དབྱིངས་ཀྱི་རྣ་བར་སྒོས་

ووجدت أنه أضاف علامات بالقلم الأحمر ليحدد حروفًا بعينها ..

لم أفهم شيئًا فقال لى :

ــ « هذه من قواعد الأجرومية فى لغة التبت القديمة .. بعض الحروف كانت تُنطق فى آخر الكلمات ثم اختفت .. لنقل إن ... »

ــ ثم رأى نظرة الغباء فى عينى فقرر أن يختصر ــ « المهم .. دعك من هذا .. ما يحاول الأخ ميانج نقله لى هو رسالة بسيطة تتلخص فى الحروف اللاتينية I T F L أو الأوساط المماثلة لها فى أية لغة .. »

حككت صلعتى مفكرًا وعبثت بالملعقة فى طبقى :

ـ « هـذا اختصـار شهير فى اللغـة الإنجليزية ... معناه (على خط النار In The Firing Line) .. »

نظر لى واتسعت عيناه ونظر للورقة ثم هتف فى انتصار :

ـ « أنت عبقرى يا (ريفاات) .. هذا هو الحل فعلاً .. »

ثم بدت عليه خيبة الأمل من جديد :

ـ « ولكن لا معنى لهذا .. »

قلت باسمًا :

ـ « ومن قال إن الأخ (ميانج) سيكلمك بالإنجليزية ؟.. لِمَ لا يكون لهذه الحروف معنى فى لغة التبت ؟ »

ـ « لا معنى لها ... أؤكد لك هذا .. الجواب يكمن فى لغة أخرى .. »

أخرجت قلمى وورقة صغيرة وخططت الحروف عليها ورحت أفكر ، ثم قلت له :

ـ « الجواب عن سؤالك يكمن فى حياتك الثانية وعالمك الثانى . نحن إذن نتحدث عن مصر .. ألم تفكر فى تحويل هذه الحروف لما يقابلها بالعربية ؟ »

ـ « نعم .. لم أفكر فى هذا .. »

كتبت بالقلم (إ ت ف ل)... إتفل !.. أعتقد أن الأمر يتعلق بالبصاق ، لكنى لا أتخيل ذلك الكاهن (الهايف) الذى يظهر طيفه فى المنام بعد قرون ليطلب من أتباعه أن يبصقوا .. أعتقد أن نظرية (على خط النار) أقرب للعقل ..

ولكن .. ماذا لو كانت الألف هى (ياء) ؟.. لا يوجد تشكيل فى الإنجليزية ، ويعتمد الأمر على شكل الحرف .. ماذا لو كانت الكلمة هى (ى ت ف ل) ؟.. هكذا صار البصق مضارعًا بدلاً من فعل الأمر .. هذا يجعل الأمور أوضح ..

ثم خطر لى من جديد أن حرفى (الطاء) و(التاء) واحد فى الإنجليزية ولعلهما كذلك فى لغة التبت .. تكون الكلمة إذن هى (ى ط ف ل) ..

كنت أحب ألعاب الـجناس التصحيفى أو الـ **Anagram** هذه طيلة حياتى ..

هنا بدا الأمر واضحًا أكثر ..

طفيل .. الكلمة هى (طفيل)...

صحيح أنه لا يوجد تشكيل للكلمة ، ومن الصعب أن أعتبرها كذلك وقد كتبت بهذه البساطة ، لكن لا يوجد حل آخر .. شفرة الأخ ميانج بحثت عن مخرج لها فاختارت العربية ، ومن الواضح أنها اختارتنى كذلك ...

قلت لــ (هــن ــ تشــو ــ كان) وأنا أكتب الكلمة بحروف كبيرة :

ــ « أعتقد أنه يتكلم عن طفيل .. يبدو هذا غريبًا لكنه أعطاك المفتاح .. لا يمكن فهم رسالته الغامضة إلا فى بلدك الثانى .. مصر .. أنت فى مصر وأنا أقول لك إن هذا هو الاحتمال الوحيد .. لا يمكن أن تكون الكلمة (لطيف) أو (فتيل) أو (فليت) .. »

ــ « ما معنى (طفيل) يا ريفاات ؟ »

يتكلم كالأطفال فعلاً ، وهذا جزء من جاذبيته الخاصة .. يستطيع قتل ثلاثين رجلاً مسلحًا لكنه يظل طفلاً محتاجًا للحماية والتعليم . هكذا رحت أشرح له :

ــ « هو كائن يعيش ويتغذى على كائن آخر ، ولا يساعده على الحياة .. أو هو الشخص الذى يستغل كرم الآخرين ولا يقدم لهم شيئًا بالمقابل . فى العربية الطفيلى هو الشخص

الذى يدعو نفســـه لكل مأدبة ، ومن الغريب أن هذا أصل الكلمة الإغريقية أيضًا .. بارازيتوس parasitos هو ضيف العشاء المحترف الذى لا يقدم شيئًا سوى تسلية الأغنياء .. هل يدق هذا جرسًا فى ذاكرتك ؟ »

ـ « لا ... »

ثم حك رأسه فى قلق :

ـ « الأخ ميانج ينذرنى من طفيل .. بعد كل هذه الأعوام يأتى ليقول هذا .. لابد أن الأمر شديد الخطر .. »

ـ « وربما كنت أنت لا تتدثر بالغطاء جيدًا فى نومك .. هذا تفسير مريح للجميع .. »

كان حائرًا فعلاً وشعرت بشفقة لا شك فيها تجاهه .. إنه ضائع فى خواطره الخاصة .. لابد أن إجلاله لهذا الميانج كان عظيمًا ..

سألته وأنا أشير طالبًا الحساب ، داعيًا الله ألا تصيبنى سكتة قلبية من الرقم :

ـ « ماذا تنوى عمله ؟.. ما هى بداية الخيط ؟... هل جئت مصر تبحث عن طفيل ؟.. يبدو أنه سيكون عليك زيارة أقربَ

عيادة طبية للتحاليل .. سـوف تجـد الكثيـر مـن البلهارسيا والأسكاريس .. »

لم يفهم الدعابة طبعًا وقال وهو يتأمل طبقه الذى لم يمس :

ـ « سأنتظر .. سوف أواصل بحثى .. لو كان هناك من يجيد اللغة التبتية القديمة على ظهر الكوكب فهو أنا .. لكنى ما زلت أحتاج للصينيين فى فهم التفاصيل . لهذا أتردد على الملحق الثقافى .. أتوقع بعض المراسلات المهمة .. »

هنا شهقت وقد رأيت الحساب ..

بينى وبينك أعتقد أن الطفيليين عباقرة .. يجب أن تكون مثلهم كى تعيش فى عالم متضخم باهظ الثمن كهذا ..

ـ 4 ـ

(مركز إليجانس مركز تجارى كبير فى وسط البلد . بدأ المكان يزدحم بالزبائن مع اقتراب الليل)

نادين :

السابعة والنصف .. كالعادة تتأخرين يا (مى).. لو كانت هناك حقيقة مؤكدة بصددك فهى أن مواعيدك فاسدة تمامًا ..

مى :

نحن فى القاهرة يا حبيبتى .. لا يمكن أن تكونى فى أى مكان فى الوقت الذى تريدين ، دعك من أننا مصريتان ولسنا ألمانيتين .. أراهن أنك تأخرت ساعة على (...) لدى تسلم الوردية ..

نادين :

اسأليها .. والآن يجب أن أنصرف ..

مى :

هل من مشاكل أو أشياء مختفية كالعادة ؟

نادين :

لا .. يبدو أن المصابين بالكليبتومانيا صاروا أقل من المعتاد ..

مى :

كلبتو ماذا ؟...

نادين :

كلبتومانيا .. جنون السرقة .. السيدة الثرية التى لا تقاوم أن تدس زجاجة شامبو أو قميصًا داخليًّا فى حقيبتها وهى فى المتجر .. إنـهن غالبًا سبب خراب بيوتنا نحن البائعات البائسات ..

مى :

مشكلتك أنك مثقفة أكثر مما تحتاج له مهنة كهذه .. إن خريجة كلية علوم مثلك لا يجب أن تكون هنا .

نادين :

ليست كل خريجات كلية العلوم مطلقات عليهن إعاشة أنفسهن وطفلهن وأهلهن المسنين.. والآن سلام ..

مى :

ســـلام ..

* * *

(درج منعزل معدنى يستخدمه العاملون كثيراً لتجنب الزحام داخل المحل)

مروان :

نادين !

نادين :

مروان ؟.. ماذا جاء بك هنا ؟

مروان :

كنت أنتظر انتهاء نوبتجيتك ، وأعرف أنك تستعملين هذا الدرج ..

نادين :

طريقة غريبة .. ليست بطريقة جنتلمان ، لكن من قال إنك كذلك ؟.. أعتقد أن قصتنا انتهت وقد مر على طلاقنا عام .. أرجو أن تتركنى .. الرجل لا يحاصر مطلقته فى درج منعزل ليكلمها عن العودة له ..

مروان :

قولى لى طريقة واحدة أتكلم بها ، وأنت ترفضين الرد على الهاتف ، وتوشكين على استدعاء الأمن لى لو كلمتك فى ساعات

العمل .. الأسبوع الماضى أوشك المارة على الفتك بى عندما كلمتك فى الشارع . أنت تدفعين الرجل لأكثر التصرفات جنونًا وخبالاً ..

نادين :

جنونًا وخبالاً.. كأنك كنت ملاكًا قبل انفصالنا .. أنت تعرف أن الدجاجة والأرنب لن يتأقلما أبدًا ولا يمكن أن تفترض أنهما سيعتادان بعضهما مهما حاولت .. أحدنا كان دجاجة والآخر أرنبًا .. من سوء الحظ فعلاً أننا أنجبنا طفلاً .. حسبت أن الأرنب لا ينجب من دجاجة أبدًا ..

مروان :

ربما لو أعطيناهما فرصة أخرى..

نادين :

أنت جربت الفرصــــة الأخـــرى مرتين ، وفى كل مرة كانت طبيعتك العدوانية الغيــور غير الواثقة بالنفس تبرز للسطح .. صدقنى لقد تصرفنا بحكمة للمرة الأولى ... والآن أفسح الطريق من فضلك ..

مروان :

ليست لى حياة من بعدك .. أنت تتلذذين بهـذا .. تتلذذين بالمهندس الناضج الذى يتوسـل لك كى تعـودى له .. أنا غير ناضج وغير واثق من نفسى ؟.. وعلىّ أن أقبل هذه الإهانات ..

نادين :

يجب أن تقبل الحقائق لو كنت ناضجًا كما تقول..

مروان :

لا أقبلها .. تقولين إننى غير ناضج وغير عدوانى .. جميل .. جئت كى أثبت لك أنك عبقرية .. (يلوح بالمدية) اشتريتها أمس ...

نادين :

لابد أنك مجنون .

مروان :

أنت تكررين نفسك بلا توقف .. ظننت أنك ستقولين شيئًا جديدًا ... أنا بالفعل مجنون ولو لم تذهبى معى حالاً لنكتب عقد زواج جديدًا فلسوف ينتهى كل شىء هنا . نهاية محزنة جدًا .. شابة حسناء ممزقة الحنجرة ترقد فى المشرحة ، ومهندس شاب واعد ينتظر الإعدام ، وطفل يتيم فى الثالثة من عمره.. شاعرى .. أليس كذلك ؟

نادين :

قلت لك أن تبتعد عنى .. سأصرخ !

مروان :

هذا مؤكد !.. لكن كم من الوقت سوف يستغرقونه فى الوصول إلى هنا ؟.. سيكون عندى الوقت الكافى كى أجهد ذراعى طعنًا .. جربى أن تصرخى فهذا سيبدأ إشعال الفتيل وعندها ...

نادين :

مروان .. دع هذا الخنجر وتكلم بعقلانية ..

مروان :

أراهن أنك لا تعرفين الفارق بين الخنجر والمطواة والسكين .. أنت ساذجة جدًا تحاولين لعب دور الفتـــاة القوية الواثقة .. لكن .. هيهات ..

نادين :

لا أحاول لعب أى شىء .. أريد أن أعيش بسلام .. فقط ابتعد ..

(يظهر ذلك الشاب النحيل الذى يحمل طابع الآسيويين قادمًا من أعلى الدرج المعدنى) .

ساعدنى يا أستاذ ...

مروان :

لا أعتقد أنه يفهم حرفًا .. من الواضح أنه يابانى أو صينى .. اسمع يا سيد .. مستر .. جو أويى .. أنا بطل مصارعة قديم ومجنون كالكلب المسعور .. آيام كريزى .. هل تفهم هذا ؟.. مايند يور بيزنس .. هل تفهم الإنجليزية يا أحمق ؟.. مالك تنظر لى كتمثال ؟ . هه ؟.. ما هذا ؟

ـ 5 ـ

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ..

عندئذ يبدأ فجر النافاراى ..

* * *

التقاليد هى عماد التحضر ..

ولم يكن (هن ـ تشو ـ كان) ينوى التخلى عن التقاليد ولا البروتوكول الذى تعلمه ، برغم أن الأمر كان مضحكًا بالنسبة له .. لقد واجه تهديدات من ذباب وبعوض أخطر من هذا التهديد بمراحل .. إن فرصة شخص وحيد لا يعرف السارايانا ولا يحمل سلاحًا ناريًّا معدومة تمامًا إذا واجه الكاهن الأخير ..

ليكن .. التقاليد هى التقاليد :

ـ « تشا سارايانا ! »

قالها وهو يباعد ما بين ساقيه ليتخذ قاعدة ارتكاز واسعة برغم ضيق المكان .

ـ « جوانغ سارايانا ! »

قالها وهو يفتح ذراعيه مباعدًا بين أصابعه ، حتى تحول إلى نمر آدمى يوشك على الوثب ..

ـ « كيوه سارايانا ! »

يقولها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى حد ..

من كانوا معنا منـذ البداية يعرفون معنى هـذا الاستعراض الغريب .. إنها الصرخات الثلاث التى يحتمها قانون (النافاراى) قبل الالتحام . لقد انتهى الدفاع السلبى (رانجانا) ليتحول إلى (السارايانا) . سأبدأ السارايانا .. احترس من السارايانا .. إليك بالسارايانا ..

برغم كل شىء وبرغم الالتزام بالتقاليد فهو غير عادل ، لأن الطرف الآخر لا يفهم شيئًا بل يظل يراقب الموقف كالأبله حتى يبدأ كل شىء ..

فى اللحظة التالية ينطلق الفتى كالسهم الذى انطلق من قوسه .. لا يمكنك أبدًا فهم ما يجرى بل لابد أن تصوره وتراه بالسرعة البطيئة بطريقـة كادر كادر .. إن التركيز أولاً على المدية التى طارت من ذراع الرجل فى لحظة ، ثم يهوى سيف اليد على موضع من مواضع (الكارفا) التى تؤدى لفقدان الوعى ..

لكن الرجل يتماسك .. إنه قوى حقًا .. يوجه قبضته نحو الكاهن الأخير فلا يضرب سوى الهواء ، لأنه يتعامل مع أستاذ فى تفادى الضربات .. الضربة التالية يصعب وصفها لكنها تمت بكعب القدم اليسرى ..

فى النهاية تكوم المهندس فاقد الوعى على الدرج ، وكما تقضى التقاليد وقف الكاهن الأخير وقفة شبه عسكرية وصاح :

ــ « **سوان هاتشاه سارايان** ! »

أى (أنذرتك أننى سأستعمل السارايانا).. فى 99% من الحالات لا يكون هناك خصم آخر يسمع هذا الاعتذار .. دائمًا ما يكون مذهولاً أو مشلولاً أو فاقد الوعى أو مقتولاً..

صرخت (نادين) وهى ترتجف :

ــ « هل .. هل مات ؟ »

قال وهو يمد يده لها :

ــ « لا .. هو فقد الوعى لا أكثر .. أنا أضرب (سيئ) .. »

تراجعت للخلف أكثر ، وصاحت :

ــ « من أنت ؟.. لا يمكن أن تكون بشريًا .. لم أر من قبل من يقاتل بهذه الطريقة وبهذه السرعة .. »

اضطر أن يكذب فقال وهو يمد لها يده ثانية :

ـ « كل الصينيين تقريبًا مثلى .. نحن نجيد الكونج فو كأنه فى دمنا منذ ولدنا .. »

هكذا راحا يهبطان فى الدرج مسرعين وهى لا تكف عن النهنهة حتى صارا فى الشارع الذى ملأته أضواء المساء .

أمكنها للمرة الأولى أن تدقق فى منقذها : هو آسيوى فعلاً لكنه شديد الوسامة ، له وجه مريح.. متأنق جدًا وله ابتسامة فيها شىء من الخجل ..

قال لها :

ـ « أنت بخير ؟ »

ـ « بخير .. »

هز رأسه واستدار ليبتعد كأنه لم يفعل شيئًا على الإطلاق .. الرجل الذى يعيد للمرأة منديلها الذى سقط منها يتصرف كأنه فارس من القرون الوسطى ويلاحقها بلا توقف ، ويتوقع أن تهيم بحبه .. لكن هذا .. لقد أنقذ حياتها ولا يبدو أنه يلاحظ هذا ..

هتفت تناديه فى ذعر :

ــ « انتظر !!.. لا ترحل ! »

استدار ورفع حاجبيه متسائلاً .. فقالت وهى تجفف دموعها :

ــ « أنا مرتبكــة وفاقــدة توازنى بالكامل .. هلا جلســنا فى مكان ما ؟ »

* * *

عنــدما مر النــادل جوارهما تعثر فى قــدم امرأة ، وطارت الصحفة التى يحملها والتى كانت تحمل مجموعة من الكئوس والأكواب ، وكما توقعت الفتاة ، وجدت الصحفة فى يد منقذها الغيبوى بعد ربع ثانية .. لقد التقطها قبل أن تسقط ومن دون أن تسيل قطرة واحدة.. لم تر هذا المشهد سوى مرة واحدة فى السيرك ، وتبين أن اللاعب ألصق الكئوس بالصينية وما فيها من سائل مزيف ..

قالت له فى دهشة :

ــ « هل ترى ؟.. انعكاساتك سريعة جدًا .. قرأت ذات مرة قصة خيال علمى لــ (هــ . ج . ويلز) ابتكر فيها البطل دواء يمنحه سرعة الانعكاسات هذه ..هل أنت متأكد من أنك لست ذلك الرجل ؟ »

كان يعانى رغبة جامحة فى الفرار . لا تروهن يا أناندا .. لا تحدثوهن يا أناندا .. وإذا تحدثت إليك واحدة منهن فلا تكترث لما تقول يا أناندا ...

لكنه اعتبر جلسته هذه جزءًا من إنقاذ الفتاة .. عملية الإنقاذ لم تكتمل بعد . الحقيقة أنه برغم خبراته الكثيرة لم يتعامل مع فتيات كثيرات فى حياته ، لهذا كان أقرب للارتباك لا يعرف ما يقول .. فقط شعر بجــزء من روحه يذوب فى هذا الينبوع الرقراق المُسكِر .. إنها جميلة فعلاً برغم أنها لا تتمشى مع مقاييسه عن الجمال (التى لم يعلنها لنفسه قط) ومنها النحول الشديد واللون الأبيض كالثلج .

قال لها وهو يعبث بالملعقة :

ــ « أنت تبالغين .. قلت لـك إن كل الصينيين بارعــون فى الكونج فو .. والكونج فو يمنح جسدك قدرات تبدو للعامة غير عادية .. اللفظة نفسها تعنى بلغة الماندارين (الإنجاز البشرى) . والآن ماذا تنوين عمله مع مطلقك هذا ؟ »

قالت فى غير اكتراث :

ـ « لا أعرف إن كان بالفعل قد انتوى تنفيذ تهديده للنهاية ، لكنى سأبلغ الشرطة .. فقط دعنا من هذا وقل لى سبب إجادتك للعربية بهذا الشكل .. »

يا للكذب !.. لابد من كذبة تدعم كذبة تدعم كذبة .. رجل الأعمال الصينى القادم من هونج كونج لدراسة السوق المصرى توطئة لتصدير أقلام .. كلام فارغ لكنه كاف ..

ـ « وهل جئت إلى متجرنا من أجل البيزنس كذلك ؟ »

هذا هو السؤال الذى لا يملك إجابة عنه ..

النداء ... النداء المبهم ..

فى السابعة مساء كان فى فراشه بالفندق متيقظًا .. فجأة شعر بأنه يريد مغادرة الفندق .. يريد المشى فى شوارع القاهرة مع ميلاد الظلام .. يريد دخول هذا المتجر بالذات .. فى الطابق الثالث رأى ذلك الرجل يجتاز الباب خلسة وهو يتأكد من أن أحدًا لم يره ، ثم بعد ربع ساعة رآها تجتاز نفس الباب فخمن ما سيحدث تقريبًا .. طبعًا سيناريو الزوج المنتقم لم يكن فى ذهنه وقتها ..

لكن ليس هذا هو السبب .. النداء الغامض لم يكن لإنقاذ المرأة فهو لا يملك حاسة الاستبصار ولا أى نوع من الحواس الفائقة تلك .. ما جاء به هنا هو نداء من الأخ ميانج بالذات ..

نداء من أجل الأمر الذى جاء به من التبت .. أما إنقاذه للفتاة فلا شك أنه صدفة ..

إنه النداء ....

لكن ما هو ؟

ـ 6 ـ

رفعــت :

عم تفتش فى الصحيفة يا (هن ــ تشو) ؟

هن ـ تشو ـ كان :

لا أدرى . لو وجدت ما أريد لعرفته على الفور .. إن لغتكم المكتوبة صعبة جدًّا بالنسبة لى .. أشعر كأننى أتأمل نقوشًا .. إنها تشبه .. تشبه ..

رفعت (بخبث) :

تشبه لغة (التبت) !.. أليس كذلك ؟.. هل تريد أن أقرأ لك شيئًا ؟

هن ـ تشو ـ كان :

هل من خبر عن ذلك الرجل الذى ضربته .. المتجر فى وسط المدينة الذى .... ؟

رفعــت :

أفهم .. أفهم .. أشياء كهذه لا تنشر فى الصحف فأنت لم تقتله .. الصحف لا تنشر خبرًا عن كل من يتلقى (علقة) فى مصر .. ناولنى الجريدة . هل ما زلت ترى تلك المرأة ؟ .. لقد نسيت اسمها ..

هن ـ تشو ـ كان :

نادين .. اسمها نادين .. هى تتصل بى من حين لآخر ..

رفعت :

أعرف .. السبب أنها تتصل بى أنا فى كل مرة .. وفى كل مرة آسف يا سيدتى .. هو لا يقيم هنا لكنى سأبلغه ..

هن ـ تشو ـ كان :

آسف .. ليس لدى رقم هاتف فى القاهرة سوى الفندق .. أعتقد أن رقم هاتفك أكثر فعالية ..

رفعت :

بينى وبينك .. هل تتوقع أى خطر عليها ؟.. لقد انتهت فصول القصة ، وما أحسب اهتمامك بها إلا ذريعة للاتصال بها . فى الأفلام العربية القديمة مقطع حوار متكرر ، هو أن يقول صاحب البطل للبطل فى خبث أبله : « آه ه !.. يبدو أنك وقعت يا بطل ! » . يخيل لى أن هذا ما أريد قوله ... يخيل لى كذلك أن جوتاما والأخ (أناندا) لن يرضيا عنك كثيرًا ..

هن ـ تشو ـ كان :

كف عن السخف يا (ريفاات) .. أنت تعرف أن النساء لا مكان لهن فى حياتى ..

رفعـت :

لكن لك مكانًا فى حياتهن .. هذه الأخت لا تتصل لأنها خائفة من طليقها وأنت تعرف هذا .. على كل حال دعنا من هذا السخف .. فلندع الخلق للخالق كما يقول العرب ، أو عش ودع غيرك يعش كما يقول الغربيون.. هذه هى صفحة الحوادث .. لا يوجد شىء ...الذبح المعتاد والحرق والسطو المسلح . هذا يوم هادئ جميل .. لكن .....

هن ـ تشو ـ كان :

ماذا هنالك ؟

رفعـت :

هناك جثة وجدوها فى موضع قريب جدًا من ذلك المتجر .. التحقيقات جارية .. متأكدون من أنها نوبة قلبية عادية جدًا لرجل فى العقد الثالث من العمر . متأكد من أنك لم تقتل ذلك الزوج الكليم ؟

هن ـ تشو ـ كان :

طبعًا .. أنا أتحكم فى أعصابى وضرباتى جيدًا .. لقد انتقيت موضعى (كارفا) ممتازين .. أنا أضرب (سيئ) ..

رفعت :

أعرف هذا .. أعرفه برغم إصرارك على عدم نصب المفعول به .. لكن أؤكد لك أنه لو كان اسم المتوفى (مروان) فأنت فى ورطة حقيقية .. لحظة .. إن بياناته هنا فقد كانت أوراقه معه .. اسمه (عباس الفقى) .. محاسب .. يبدو أنك نجوت هذه المرة .. لكن هل هذا هو الخبر الذى كنت تبحث عنه ؟

هن ـ تشو ـ كان :

لا أدرى .. إن النداء يلح على رأسى .. شىء ما فى هذا المتجر .. فى كل ليلة أشعر برغبة جهنمية فى الذهاب هناك .. كأن الأخ (ميانج) نفسه يأخذنى من يدى ليلقى بى هناك .. لو كان شىء سيحدث فلسوف يحدث فى تلك البقعة .. لو كان علىّ أن أخاف شيئًا فهو فى ذلك المكان .. (ريفاات) .. هل يمكنك أن تحصل على معلومات أكثر عن ذلك المتوفى ؟.. هل من رأى للأطباء ؟.. هل من تشريح ؟

رفعت :

هذا ليس رجلاً ناقص الأهلية ، وفى 90% من الحالات لا يقبل أهله بالتشريح ما دام السبب واضحًا ..

هن ـ تشو ـ كان :

حاول أن تعرف ..

رفعت :

سأحاول لكن ألا تعتقد أن فى الأمر كثيرًا من المبالغة ؟ .. أعتقد أن حنينك الشديد لبيئتك الأولى قد حرك هذه الرؤى . لو خرجت للعالم لوجدت الشمس مشرقة والناس يعيشون حياتهم المعتادة .. لا توجد علامات على خطر قريب أو بعيد . إن كتب التبت هذه سوف تنسف عقلك .. هناك عرافة أوكرانية مجنونة اسمها مدام بلافاتسكى Blavatsky ذهبت للتبت وتعلمت الكثير من الرهبان ، ثم عادت لتكتب كتابًا اسمه (ديزان) تصورت أن كل أسرار الكون فيه .. صدقنى .. الحياة صارت أكثر وضوحًا اليوم ..

هن ـ تشو ـ كان :

حذار يا (ريفات).. إن صداقتك تدفعنى دفعًا لقبول إهانتك لمعتقداتى ، لكن أؤكد لك أن كلامك يؤلم ..

رفعت :

معك حق... على المرء أن يحترم عقيدة كل إنسان . لكنى أردت مساعدتك وأنت تفهم هذا ... فى رأيى أن حالتك مزيج من الحنين لبيئتك القديمة والحنين للأنثى .. لا تقل لا فأنت شاب قوى يأكل ويتريض ويتنفس هواء نقيًا وقد خلق له الله هرمونات نشطة .. الحل هو أن تتزوج ..

هن ـ تشو ـ كان :

أنت لا تفهمنى بتاتًا ...

رفعـت :

وكذا أنت ...

هن ـ تشو ـ كان :

سأتأمل قليلاً.. كان الكاهن الأعظم يقول لنا : عندما تحتشد فى صدرك الكلمات القاسية ، فقد حان وقت أن تتحول إلى زهرة لوتس صموت .. فقط الشجرة أحكم من أن تلفظ كلمات قاسية .

رفعـت :

حسن .. تأمل كاللوتس أو كالكرنب يا سيدى .. ها هى ذى الأريكة .. انزع حذاءكِ وتربع .. ولسوف أجرى بعض المكالمات الهاتفية . الحكاية هى أنه لا نفوذ لى فى القاهرة لكن صديق عمرى (عادل) قد صار من ضباط الداخلية شديدى الأهمية .. هكذا أعرف أى شىء أريد معرفته فى القاهرة عن طريق الاتصال بالإسكندرية .. هل تسمعنى ؟

هن ـ تشو ـ كان :

....

رفعـت :

جميل .. بدأ السيرك مبكرًا اليوم ...

ـ 7 ـ

أنت تعرف ما يحدث للخفراء الليليين فى قصصى فلن أطيل الوصف ..

أنت تعرف ما يحدث للخفراء الليليين المطمئنين إلى مسار الحياة ..

أنت تعرف ما يحدث للخفراء الليليين الذين يلتهمون الأرز بالكوسة ويحلمون بكوب شاى ثقيل ..

عندما انتهت ساعات العمل فى المتجر المدعو (إليجانس) ، كان (إبراهيم) الخفير الليلى قد أعد كل شىء للسهرة مع صاحبه (مصطفى) ...

لقد رحلت البائعات ، وتم توريد محتويات الخزينة ــ وهى تجعله متوترًا بالفعل - حيث أخذها الصراف إلى مكتب المدير الذى يُغلق بباب حديدى ثقيل ، وفى الصباح تودع فى المصرف . لا يمكن الاستيلاء على هذه على الأقل إلا بوساطة فريق من اللصوص المتحمسين الذين يشبهون لصوص الأفلام الأمريكية .. يحمد الله على أن الجريمة فى مصر ما زالت ساذجة عفوية بلا تخطيط تقريبًا ...

تم إغلاق أقسام المتجر كلها ، ودخل دورات المياه يتأكد من عدم وجود مختبئين باعتبار هذه حيلة قديمة جدًّا .. هذه هى طريقة السرقة التى يفهمها ويتوقعها ..

هكذا أمكنه أن يغلق معظم الأنوار ، ثم جلس هناك جوار المخزن وافترش الأرض فى ضوء نيون خافت . إن الجو يسمح بالرقاد على الأرض وإن كان بعض البرد يتسلل لعروقه فجرًا ..

جاء (مصطفى) فأشعلا الموقد الصغير ، ثم فتح المنديل الذى يحوى حلة الطبيخ الصغيرة وحلة الأرز .. أرسلتها له زوجته عند المغرب . هناك لحم وهذا يجعل الحياة أجمل . من أجل هذه اللحظة يتحمل كل تلك الساعات المملة . هناك ملعقتان والكمية زائدة لأن زوجته تعرف أن مصطفى أعزب ولا أحد يرسل له طعامًا ..

هناك بورى صغير يدخنان عليه المعسل وهناك مذياع مضبوط على محطة أم كلثوم . هكذا يمر الليل على كل حال .. وفى الصباح يكون عليه التأكد وصاحبه من إخفاء معالم العشاء والتدخين .. لابد أن المدير يعتقد أنهما يقضيان الليل واقفين متوترين مستعدين لإطلاق النار .. لا وقت للتدخين أو الأكل أو النوم ..

الآن .. أنت تعرف ما يحدث للخفراء الليليين الذين يشعر واحد منهم بأنه يريد دخول الحمام ..

قال مصطفى وهو يضع كوب الشاى الذى لم يبق فيه سوى بعض (التفل) :

ـ « أريد دخول الحمام .. »

يفعل هذا فى نفس اللحظة تقريبًا من كل سهرة .. يبدو أنه من المصابين بحالة حادة من الانعكاس المعدى القولونى الذى يرغم صاحبه على دخول الحمام بمجرد أن يأكل لقيمات من الطعام .. العامة تعتقد أن الطعام يدفع بعضه ...

ونهض إلى دورة المياه الموجودة فى ذات الطابق .. إن معه المفتاح طبعًا .. هكذا أدار المقبض ودخل ..

على حين جلس إبراهيـم على الأرض يرشف الشـاى فى استمتاع وهو يصاحب صوت عبد الحليم حافظ فى المذياع بصوت خفيض نشاز ..

ـ « قول يا .... أملى .... قول مخبى عليا .. إيييييييييه ؟ »

من المستحيل أن يقلد النغمة بشكل صحيح ، ويبدو أن الأذن الموسيقية والثقافة شيئان متلازمان ..

ثم راح يدق على الأرض بكلوة يده ملاحقًا النغمة.. صارت نظراته ناعسة بلا معنى على الإطلاق.. نظرات بقرة شبعانة .. لو كان مصطفى مصابًا بزيادة الانعكاس المعدى القولونى ، فهو مصاب بظاهرة التهبيط .. كأن الدم كله هناك فى معدته فلم يعد شىء يبلغ مخه ..

يريد أن ينام .. لابد من كوب شاى آخر .. كى ....

ماذا يفعله مصطفى فى الحمام كل هذا الوقت ؟

لقد أمضى هناك نصف ساعة بلا مبالغة ...

هكذا نهض فى الضوء الخافت ودق الباب عدة مرات :

ــ « مصطفى .. هل توفاك الله ؟ »

ثم عاد يدندن فى صوت نشاز كالنهيق :

ــ « قول يا .... أملى .... قول مخبى عليا .. إيييييييييه ؟ »

لا صوت من الداخل .. إن هذا الحمام يصلح لشخص واحد فقط لذا يغلق من الداخل . هكذا واصل دق الباب بعنف أكثر .. لا شىء ..

ــ « مصطفى .. هل نمت أيها الأحمق ؟ »

الآن صار الأمر خطرًا .. مصطفى شاب والشباب لا يموتون بنوبة قلبية مفاجئة فى الحمام ، لكن الأعمار بيد الله .. من يدرى ؟

هكذا ضرب الباب بكتفه .. ثم ضربه بقوة أكثر .. إن من نشأ نشأة ريفية مثله يعتبر هذه الأمور من صميم كرامته ورجولته . لا يقبل الفشل أو أن يطلب عون رجل آخر .. فى شبابه كان وأقرانه يتبارون على كسر حزم قصب السكر بضربة واحدة .. الشدة .. أهم شىء ..

هكذا نزع الجلباب ليقف بالصديرى والكلسون ، واستجمع قواه أكثر وضرب الباب بأعنف ما استطاع ، فكاد يسقط داخل المرحاض ...

لقد انفتح الباب وقد تهشم جزء منه كان يتمسك بالمزلاج .. وعندما استعاد توازنه كان يوشك على تحطيم المرحاض وهو يتمسك كى لا يسقط عليه . وكان الظلام شبه دامس وإن ساعده الضوء القادم من الخارج من مصباح النيون .

على الأرض كان مصطفى راقدًا بلا حراك ..

مصطفى مفتوح العينين شاخص النظرات .. لا يجب أن تتحسس عنقه كى تدرك أنه ميت ..

والسبب ؟

يعرف يقينًا أنه رأى شيئًا ينساب بين قضبان النافذة المفتوحة .. النافذة التى لا زجاج لها .. لم يجد الوقت الكافى ليعرف ما هو ، وإن خيل له للحظة كأنه يرى أربعة ثعابين تتحرك معًا ..

جثا على ركبته فى المكان الضيق وتفحص الجثة ..

هناك شىء غريب ..

خدا مصطفى غائران وجبهته غائرة .. جلده مجعد كأنه فقد وزنًا فى وقت قصير ... باختصار يبدو كأنه ثمرة طماطم اعتصرها أحدهم .

ما معنى هذا ؟

لكن (إبراهيم) لم يكن يرى هذا المشهد للمرة الأولى . الفتاة الصغيرة ذات سبع السنوات التى وجدوها فى الزقاق الخلفى للمتجر منذ ثلاثة أيام.. كان هناك ميزاب يلفظ محتوياته طيلة اليوم ، وكانت الجثة هناك تحته .. وجدها جامع القمامة وحسبها خرقة ملقاة مبتلة . عندما اقترب أدرك أنها طفلة ...

كانت جثة فارغة .. لا يعرف كيف يصف المشهد لكنه رآها وحملها بين ذراعيه .. كانت مجوفة فعلاً.. قشرة .. كأن عنكبوتًا عملاقًا امتص ما فيها من عصارة وحياة ..

الآن تحول مصطفى إلى شيء مماثل .. ماذا يدور هنا ؟..

فقط كان يعرف يقينًا أن الأمسية انتهت عند هذا الحد ، وأنه لن يدخن حجر المعسل أبدًا . سوف يمتلئ المكان بالشرطة خلال ساعة ...

ـ 8 ـ

(**على الهاتف**)

عادل :

رفعت .. أيتها المومياء .. !.. ألا تنوى أن تموت أبدًا ؟

رفعت :

وددت لو فعلت هذا لأسعدك لكن الأمر ليس بيدى . لا أريد أن أعطلك .. هل من أخبار عن ..... ؟

عادل :

دعك من هذا الهراء .. هيه ؟.. ألا تنوى زيارتى فى الإسكندرية ؟.. ثق أنك ستجد سيارة بوكس تحت بيتك تحملك حملاً لى .. سوف أعتقلك اعتقالاً...

رفعت :

أ .. (عادل).. أنت تعرف أننى لا أرتاح لعوالم الشرطة هذه .. أنت من الأسباب النادرة التى تجعلنى أتعامل مع أية مديرية أمن . هل وجدت أية أخبار عن تلك الوفاة التى حدثت قرب متجر ... ؟

عادل :

متجر (إليجانس) ؟...فى وسط البلد غير بعيد عن شارع 26 يوليو .. أية جريمة تعنى ؟..

رفعــت :

هل هناك الكثير ؟.. لا توجد سوى جريمة واحدة ..

عادل :

يبدو أنك غائب عن الوعى .. هذا عهدى بك .. هناك أربع جثث فى ذات المربع ، حتى أن زملائى فى القاهرة أطلقوا على المنطقة (مربع الموت).. كثفوا الدوريات وهناك رجال شرطة سرية أكثر من عدد المواطنين ..

رفعــت :

هذا غريب .. لم أسمع سوى عن حادثة واحدة ..

عادل :

بل هناك أربعة موتى .. آخرهم خفير ليلى فى ذات المتجر ..

رفعــت :

كلهم مات بنوبة قلبية ؟

عادل :

بينى وبينك هذا ما يقال للصحافة .. لكن الجثث تحمل طابعًا غريبًا وقد فشل الطبيب الشرعى فى فهم شىء .. كل شىء يشير إلى أن الفاعل واحد ..

رفعت :

فاعل ؟

عادل :

النوبات القلبية لا تعتصر الجثة وتخليها من أية عصارة أو حيوية . كل الجثث بدت كأنها حبة ليمون تم اعتصارها بكف مصارع .. شىء قد امتص داخل الجثث ولا أعرف كيف أشرح .. أنا لم أر شيئًا .. الكلام كلام ضباط القاهرة .. يقولون إن الأمر بدا كأنه عنكبوت فرغ من امتصاص ذبابة ..

رفعت :

وكل هذا سر حتى اللحظة ؟

عادل :

طبعًا .. مهمة الشرطة هى الحفاظ على الاستقرار.. هذا يتضمن الكتمان أحيانًا .. إن الذعر قد يؤدى لأفعال غير مدروسة .. ولكن لماذا تهتم بأمور كهذه ؟

رفعـت :

أنت تعرف أن أى شىء عجيب يتدحرج ليسقط فى حجرى فى النهاية .. أنت تعرف أفلام توم وجيرى عندما تسقط صخرة من الفضاء . يعرف القط على الفور أنها ستهوى فوق رأسه هو بالذات ، ويقف بانتظارها وهو يدخن ...

عادل :

هاهاهها ها ..!.. ظريف كالعادة يا رفعت !.. لو أننى فى القاهرة لاتهمتك اتهامًا .. ثق أننى سأنفذ وعيدى بأن أرسل لك البوكس .. ستكون دعابة ظريفة .. هاهاها ها !

رفعـت :

ها ها ها .. فعلاً .. هل تسمح لى بوضع السماعة لأصاب بالرعب قليلاً ؟.. على فكرة .. ألف شكر ..

* * *

هن ـ تشو ـ كان :

هل من أخبار يا ريفاات ؟

رفعـت :

هل من أخبار عندك أنت ؟

هن ـ تشو ـ كان :

الأخ ميانج يزورنى بكثافة غير عادية .. يردد الحروف .. ويردد (اليوم.. اليوم).. هل يدل هذا على شىء ؟

رفعـت :

أعتقد أنه يدل على أنه يعنى اليوم ..

هن ـ تشو ـ كان :

وماذا يحدث اليوم ؟ ... ثم ما الأخبار عندك أنت ؟

رفعـت :

كل شىء مطمئن ورائع .. فقط هناك أناس يموتون وتخلو عروقهم وأنسجتهم من أية دماء أو عصارة.. هناك نمط جغرافى معين يجعلهم يموتون فى منطقة ذلك المتجر اللعين ..

هن ـ تشو ـ كان :

هل تعنى .. أن هناك من يمتص دماء الأحياء مثل (الشيانج شى) ..؟ أنت تعرف أن الروح الشريرة فينا تدعى (باى) .. لو أن الإنسان مات ميتة شنيعة ، أو لم يدفن بالسرعة الكافية ، أو استطاعت الحيوانات أن تعبث بقبره ، فإن الباى تسيطر على الجسد ويتحـول إلى (شيانج شى) .. لو مر قـط على رأس الميت فإنه يتحول إلى (شيانج شى) ..

رفعت :

صدقنى أعرف هذه الأسطورة ، لكن لا أصدق أن شيانج شى اختار مصر لقضاء إجازته ..

هن ـ تشو ـ كان :

وماذا تفكر فيه ؟

رفعت :

أفكر فى عنكبوت آدمى عملاق .. سيكون هذا جديدًا فعلاً ... أفكر فى كائن لا يملك القدرة على تصنيع الحياة لنفسه فيمتصها مصًا من أجساد هؤلاء .. مثله مثل حامول البرسيم أو سمكة اللامبرى أو حتى دودة الأنكلستوما . أفكر فى ....

هن ـ تشو ـ كان :

تفكر فيما أفكر فيه طبعًا ..

رفعـت :

أفكر فى طفيل ....!... (هن ـ تشو ـ كان) .. يبدو أننا نقترب جدًّا من اللغز الذى جاء بك هنا !

ـ 9 ـ

جولتنا حول المتجر لم تكن مثمرة جدًّا ..

إنه ضخم نسبيًّا بالنسبة لعهد ما قبل الانفتــاح هــذا .. عندما كنا نبتاع الجبن من البقــال ، ولم يكن أحــد يعــرف معنى (سوبر ماركت) إلا من عاش فى الخارج فترة . ولم تكن هناك مولات أو مراكز تسوق ، بل هى محلات كبيرة على طراز (هانو) و(صيدناوى) ، والفتاة التى تريد التحذلق كانت تذهب لشارع الشواربى لتبتاع سروالاً من (الديولين) الأخضر وبلوزة مشجرة قبيحة المنظر وحذاء ارتفاع كعبه متران .. رباه !.. من الغريب أن الناس كانت تملك هذه الجرأة .. كان من الطبيعى أن ترى شابًّا يلبس سروالاً أحمر بلون الطماطم ، ضيقًا جدًّا حول الردفين ، متسعا كالفستان حول القدمين ...

كنت أقول إننا درنا حول المتجر فكان يحتل ناصيتين ، ويحيط به من اليسار والخلف زقاقان غارقان فى الماء بسبب المجارى ومياه المزراب ..

دخلنــا المتجر فى السابعة مساء ، وكان بالفعــل على غرار المحلات الكبرى الخاصة بالقطــاع العــام وقتها . هناك طابق

للسجاجيد والستائر والأجهـزة الكهربية .. طابق للمفروشـات والأقمشة والثياب الرجولية .. طابق للثياب الأنثـوية .. طابق لألعاب الأطفال وكل ما نسوا وضعه فى الطوابق السفلى ..

■ « كيس !! »

كانت هذه هى الصيحة شبه القتالية التى تقولها ــ بصوت أنفى عميق آمر ــ كل بائعة تنتهى من كتابة أمر الدفع للعميل ، فيهرع ذلك الفتى الشاحب يأخذ ما ابتاعه العميل إلى قسم التسليم .

فى كل طابق هناك باب خلفى صغير يقود لذلك الدرج المعدنى الخاص بالعاملين . وفى كل طابق هناك خزانة يقف أمامها عدد من العملاء الذين ....

■ « كيس !! »

.... يريدون الدفع .. ثمة جو حكومى واضح كأننا فى السجل المدنى . هذا عصرُ ما قبل الخصخصة طبعًا ، لكن المتجر ليس حكوميًّا .. هو فقط يقلد المتاجر الحكومية لأنه لا يعرف سواها .

فى الطابق الثالث كانت (نادين) تقف خلف الكاونتر وتعرض بعض الثياب الأنثوية الحميمة على عميلة متشككة . عرفت أنها هى عندما أشار لها (هن ــ تشو ــ كان) بطرف خفى كى

يخبرنى بأمرها . طبعًا كانت طبيعة عملها تجعل اقتراب الرجال من خامس أو سادس المستحيلات .. من المشين أن يهتم رجل بهذا الجزء من المتجر بالذات .. لا أنكر أنها كانت جميلة .. سمراء جميلة ممتلئة قليلاً ، كبيرة اليدين ، وكنت أحسب هذه مبررات كافية لنفور (هن ــ تشو ــ كان) .. إنه قادم من زمن كانت أيدى وأرجل الفتيات الصغيرات فيه توضع فى علب حديدية كى لا تكبر ، ونحول الفتاة مقدس عندهم .

لكنها رأت (هن ــ تشو ــ كان) فأشرق وجهها ، ولوحت بذراعها ..

فلتقطع ذراعى أنا إن لم تكن علاقتهما أكثر دفئًا مما يحكيه لى . هذه الشابة يشرق وجهها بالحب فعلاً . الوغد الآسيوى لا يحكى لى كل شىء ويعتبرنى حمارًا غافلاً .. دعك من أنها تتصرف كأنها اعتادت رؤيته .. ليست هذه أول مرة ..

■ « **كيس !!** »

فلما تخلصت من عميلتها لحقت بنا ضاحكة . نظرت لى فى عدم فهم .. فأنا لست أباه على الأرجح ، قال لها بحرج بطريقته شبه العسكرية :

ــ « هذا ريفات .. طبيب وصديق عزيز .. »

صافحتها فى كياسة ثم طلبت منها ألا تترك العمل من أجلنا . فقالت فى مرح :

ــ « اليوم أعمل من السابعة حتى الحادية عشرة مساء.. مواعيد عمل عجيبة فعلاً ، لكنها أفضل من العمل من العاشرة صباحًا حتى السابعة مساء .. هذا يحدث ثلاثة أيام أسبوعيًا .. »

فى طريقتها رقى لا شك فيه .. جامعية وابنة ناس طيبين كما هو واضح ... قلت لها فى تردد :

ــ « لا أعرف كيف .. فهمت أن لديك طفلاً .. و... »

ــ « فى العادة تعنى به أمى أثناء العمل ، لكن اليوم قد قررت أن أصحبه معى .. »

هنا سمعت صوت الضحكة .. ورأيت الشيطان الصغير الجميل يركض بين الواجهات الزجاجية .. لو كان يشبه أباه فأبوه جميل الصورة فعلاً بالطبع إذا تغاضينا عن فكرة أننى لا أحب الأطفال الذين تجعلهم أمهاتهم كالفتيات ، وتغطى عيونهن (قُصة) من الشعر الأسود ، لكنى لا أتبين ملامح الأم فى وجهه . اسمه (أشرف) فيما علمت .. فى الثالثة من عمره وهى سن يحبها الجميع ، لكنى عامة لا أطيق الأطفال فى أية سن حاليًا . الطفل اللطيف هو الذى لم يولد . ويبدو أن ....

■ « **كيس !!** »

.. هناك اتفاق غير مكتوب أن يُترك الصبى وشأنه . طبعًا لا توجد نقابة هنا تطالب بحضانة لأبناء البائعات .

ــ « كيس !! »

اتجه (هن ــ تشو ــ كان) نحو الطفل ، واتخذ وضع الاحتباء وفتح ذراعيه وقال شيئًا ما .. من ثم هرع الطفل إليه وبدأ يصارعه بالقبضتين ثم وجه له لكمة .. رباه !.. سوف يتظاهر بأن الصبى ألقاه أرضًا وهزمه !.. سوف أمنح مالى كله للرجل الذى لا يداعب الأطفال هذه المداعبة السخيفة .

لكن الطّفل له رأى مختلف طبعًا .. لقد راح يكركع بالضحك حتى سال الدمع من عينيه ..

اتجهت نحو (هن ــ تشو ــ كان) الذى ركع على ركبتيه ليبدأ جولة أخرى ، وقلت :

ــ « جميل أن تلاطف الأطفال ، لكن ألا ترى أن علينا الرحيل ؟.. نحن نبحث عن طفيل يحذرنا منه الأخ (ميانج).. لا تنس هذا .. »

وجه لكمة ملاطفة للطفل ، لكن هذا أدار رأسه لليمين بسرعة فتفاداها.. قال (هن ــ تشو ــ كان) :

ـ « هل ترى ؟.. علمته بعضًا من فن التفادى !! »

يبدو لى أن الأمور مرسومة أكثر من اللازم وأنا صرت عجوزًا مخرفًا شديد السذاجة .. هيا بنا يا بنى ودعك من هذا السخف...

هز رأسه فأبعد خصلات شعره الأسود التى غطت عينه ونهض بسرعة ، وابتسم للطفل ثم أمه .

قلت له :

ـ « بالمناسبة .. هناك من مات داخل دورة مياه فى هذا المتجر .. هل لديها معلومات عن الموضوع ؟ »

ـ « لا تعرف إلا ما ذكرته أنت لى .. عندما جاءت فى الصباح كانت الشرطة قد أنهت كل شىء .. »

ـ « أقترح أن نرى دورة المياه تلك .. لعلك واجد فيها شيئًا .. »

ـ « ريفاات .. أنت تتحدث كأننى وسيط روحى .. أنا لا أملك أية قدرات خارقة للحواس .. »

ـ « لكن الأخ (ميانج) يملك .. ربما يخرج رأسه من المرحاض ويقول لك شيئًا مهمًا .. أعتقد أنه يجب أن يخجل من

نفسه من هذا الغموض الذى يضعنا فيه .. عليه أن يكون محددًا .. لقد أوشكت مدرسة الرمز على الاندثار فى العالم كله .. »

ـ « قلت لك إنه ممنوع من التصريح .. هى رموز يتمكن من تمريرها لعالمنا عبر ثغرات الشفافية التى يمنحها الحلم لى .. »

كانت دورة المياه المعنية فى الطابق الثاني.. وهكذا انتظرته فى الخارج على حين دخل متظاهرًا بأنه يقضى حاجته ، وانتظرت فى صبر ..

ثمة حركة غير عادية .. هناك جو عام من التوتر .. عمال يروحون ويجيئون ، وبائعات يركضن .. هناك رائحة الأدرينالين تتسرب لأنفى بوضوح فلو كنت وحشًا لانقضضت ومزقت الجميع ..

ـ « هذا مغلق كذلك ؟ »

ـ « ونافذة العرض ..؟.. رباه .. من الذى ؟ »

ـ « الهاتف .. ماذا عن .....؟ »

ومن مكان ما ظهر المدير .. رجل أشيب له كرش عملاق وسلطة كاسحة ويلف كمى قميصه بكمين صناعيين أسودين لمنعهما من الاتساخ ، لا يمكن ألا يكون المدير ... كان يحمل دفترًا ويبدو متوترًا ومر بنا فسمعته يقول :

ــ « هذه مزحة سخيفة جدًا .. هل من هاتف يعمل ؟ »

كان ذلك العامل يمر بجوارى فاستوقفته وسألته عما يحدث هناك.. نظر حوله كأنه يتأكد من أن المدير لا يسمع ، ثم قال :

ــ « الأبواب انغلقت علينا يا أستاذ .. هناك مجنون حبسنا هنا بلا سبب ..!! »

الجـــزء الثـــانى

أســـــرى

كنت قد استوعبت الأمر وقدرت أنه شىء من الأشياء التى لا يمكن تفسيرها ، والتى اعتدتهـــا فى حياتى على كل حـــال .. أبواب تنغلق تلقائيًّا ؟.. هذا هو المعتاد وهذا هو إيقاع حياتى .. أحتاج لوقت أطول من اللازم كى أرى بابًا طبيعيًّا مهذبًا ..

– 1 –

(داخل المتجر الكبير)

المدير :

هذه مزحة سخيفة .. أين هؤلاء العمال ؟

موظف :

لا أجدهم .. والهاتف لا يستجيب ..(*)

المدير :

ماذا تعنى ؟.. هناك من حبسنا هنا وقطع أسلاك الهاتف ؟

موظف :

يبدو أن هذا ما حدث يا سيدى ... هذا هو (مختار) الذى يجلس قرب الباب ..

مختــار :

لا أعرف كيف حدث هذا يا سيدى .. كان هناك طفح للمجارى لذا ابتعدنا عن الباب الرئيس منذ بداية الأمسية .. وفجأة منذ خمس دقائق تحرك الباب الزجاجى لينغلق ثم هوى الستار الحديدى من أعلى ... الستار الذى يغلق من الخارج وبجهد رجلين .

(*) نحن فى السبعينيات فلا يوجد هاتف محمول .

المدير :

قل كلامًا منطقيًا يا أفنـدى !.. لا تحدثنى عـن الأبواب التى تنغلق تلقائيًا ...

مختـار :

هذا ما حدث يا سيدى والله على ما أقول شهيد .. حدث أمام عيوننا .. سل (بيومى) و(سنتريسى) ..

المدير :

هناك بابان آخران .. باب العاملين وباب البضاعة ..

موظف :

نفس الشىء يا سيدى .. لقد انغلقت الأبواب الثلاثة ..

المدير :

تقول أيضًا أن الواجهـات الزجاجيـة التى تعـرض فيهـا المعروضـات والمانيكانات قـد انغلقت ؟.. الستار الحديدى نزل على كل واجهة منها .... من الخارج ؟

موظف :

نعم يا سيدى ..

المدير :

ارفعوها !... يستطيع العمـــال تهشــيم الزجاج ورفع الستائر الحديدية من الداخل .. ليستعملوا أظفارهم لو اقتضى الأمر ..

موظف :

سنجرب ذلك يا سيدى ...

المدير :

هل من نافذة مفتوحة فى مكان ما ؟.. ربما استطاع أحدهم التسلق والخروج منها ..

موظف :

كل النوافذ مدعمة بالقضبان يا سيدى .. انت تعرف هذا أفضل منى .. ربما نلقى منها أشياء لكن معظمها يطل على الزقاقين ..

المدير :

لابد أن يسترعى انتباه المارة أن المحل مغلق وبرغم هذا اللافتات مضاءة وكذا نوافذ الطوابق العليا ..

موظف :

للأسف يا سيدى .. الكهربائى يريد أن يخبرك بشىء ..

الكهربائى :

لقد قمت بفحص لوحة التوزيع يا سيدى .. بالتأكيد المتجر مظلم تمامًا من الخارج .. من ير المشهد فى الشارع سيعتقد أننا أغلقنا المكان مبكرًا .. لن يسأل عنا أحد مؤقتًا .. على الأقل حتى يبلغ أقاربنا الشرطة ..

موظف :

لن يبحثوا هنا .. مهما تأخرنا فلن يخمن أحد أننا سجناء فى المتجر .. كل واحد سوف يجرب الاتصال ويفشل ، من ثم يقرر أن الجميع عادوا لبيوتهم ويبدأ البحث فى مكان آخر .. بل أخشى أن يتكرر هذا غدًا .. سوف يفترَض الجميع أن هناك أسبابًا جعلت المتجر يغلق يومين .. هذا ليس مكانًا حكوميًا ...

الكهربائى :

إنها لوحة التوزيع يا سيدى ..

المدير :

وهل هذه معضلة ؟.. لم لا تقوم بإصلاح اللوحة ؟.. هلم أعد التيار .. سوف نقوم بفتح النور وغلقه مرارًا وهذا سيجلب انتباه المارة لنا ...

الكهربائى :

المشكلة هى أن هناك تخريبًا دقيقًا جدًّا .. هناك أسلاك مدفونة فى الجدار تآكلت .. لا يمكن أن أعيد الكهرباء بهذه السهولة ، وأحتاج لأشياء من الخارج ..

المدير :

لماذا أدفع رواتبكم ؟.. هذه من ألغاز الكون .. من الواضح أن أحدًا لا يفعل شيئًا سواى فى هذا المتجر .. أريدك أن تختفى لبضع دقائق .. بعدها تعود لى لتخبرنى أنك أعدت أسلاك الهاتف وأعدت الكهرباء للواجهة .. بالطبع تعرف أنك مطرود لو لم تفعل ..

الكهربائى (بصوت خفيض) :

مطرود مطرود .. فقط أخبرنى كيف أخرج من هنا ما دمت مطرودًا ..

بائعة (فى هستيريا) :

أستاذ رفاعى .. لا يمكن أن نبقى هنا .. إن بابا سيجن .. سوف يقطع رقبتى لو لم أعد فى موعدى .. يجب أن نخرج .

المدير الذى تبين أنه رفاعى :

جميل .. جميل .. يمكنك الرحيل حالاً .. أنا لا أمنعك ..

(**يتركها فى حالة هلع ويتجه لمكان آخر**)

البائعة :

من المجنون الذى فعل ذلك ؟.. ولماذا ؟

موظف :

الأمر يفوق أفعال مجنون .. كيف استطاع شخص واحد أن يغلق المداخل ويقطع الهاتف والكهرباء بهذه السرعة ، ونحن جميعًا موجودون ؟

الكهربائى :

لم يفعلها شخص وإنما عفريت .. هناك بسم الله الرحمن الرحيم فى هذا المتجر ، ويبدو والله أعلم أننا سنموت !

ـ 2 ـ

كنت أراقب هذا السيرك مفضلاً الصمت ..

أول من يتساءل أو ينفعل ســوف يتلقى قدرًا لا بأس به من السباب . هناك حالة انفلات أعصاب عامة يسهل تخيلها والأدهى أن العملاء سوف يبدءون فى الهستيريا أيضًا وهذا لن يحسن الأمور ..

كنت قد استوعبت الأمر وقدرت أنه شىء من الأشياء التى لا يمكن تفسيرها ، والتى اعتدتها فى حياتى على كل حال .. أبواب تنغلق تلقائيًا ؟.. هذا هو المعتاد وهذا هو إيقاع حياتى .. أحتاج لوقت أطول من اللازم كى أرى بابًا طبيعيًا مهذبًا ..

لكن السؤال الذى ألح علىّ هو : لماذا الآن ؟.. لماذا هنا ؟

خرج (هن ــ تشو ــ كان) من الحمام المظلم وهو يجفف يده ، ثم قال لى ببراءة :

ــ « لا شىء ! »

قلت فى غيظ :

ــ « استنتاجاتك ممتازة .. لقد جاءت نهاية العالم وأنت فى الحمام .. »

ــ « ماذا تعنى ؟ »

ولاحظ على الفور جو التوتر العام الذى أحاط بالمكان .. كان الناس ينزلون من الطابق الرابع كأن هناك حريقًا ، لكن مع الكثير من التدافع والفوضى .. معظم العاملين تركوا أماكنهم ، ومن مكان ما انقضت (نادين) على يد ابنها لتحتفظ به فى قبضتها ..

شرحت له الموقف فى ثوان ..

نظر لى ونظرت له .. نحن نفهم بعضنا جيدًا .. الأمر يتعلق طبعًا بما جئنا من أجله .. لا شك فى هذا ..

قال لى همسًا وهو ينتحى جوار جدار :

ــ « هل تعتقد أن للـــ .. للطفيل دورًا فى هذا ؟ »

ــ « أعتقد .. الأخ ميانج قال لك إنه اليوم .. »

ــ « ولماذا هنا بالذات ؟.. ولماذا الآن ؟ »

ــ « هذا هو سؤال حلقة الليلة .. الجائزة هى أن تبقى حيًا حتى الصباح .. »

ــ « وماذا سيحدث بالضبط ؟ »

ــ « لا أدرى ... »

تقدمنى نحو الفتاة (نادين) التى احتضنت ابنها ، وملّس على شعر الصبى ، ثم قال لها وهو يشير للطابق السفلى :

ــ « لربما كان من الأفضل أن ننزل .. »

سألتْه فى هستيريا وهى ترتجف :

ــ « ماذا يحدث هنا ؟.. هل هو سطو مسلح ؟.. هل هناك من يريد سرقتنا ؟ »

يا لسحر الأنثى التى تتوقع أن الرجل يعرف كل شىء !.. هز رأسه أن لا .. ونظر لى نظرة ذات معنى . بالفعل أتمنى مثله لو كان الأمر كذلك .. لو وجد خطرًا فى صورة عصابة من القتلة المسلحين لكان هذا رائعًا ، فالأمر لا يحمل له سوى بعض التدريب لا أكثر .. كل خطر لا يستطيع ركله هو الخطر الحقيقى بالنسبة له .. الفيروسات والإشعاع واللعنات وشىء غامض اسمه (الطفيل) ..

جذبتْ نادين الصبى من يده الصغيرة المكتنزة ، واتجهتْ معه نحو الدرج الذى تزاحم عليه الناس .. كان عليهما أن ينتظرا حتى لا يسحق الصغير تحت الأقدام ..

أخيرًا بدأنا ننزل ..

الطابق الثانى كان شبه خال .. وقد لاحظت فى رعب أن النوافذ العريضة المطلة على الشارع مغلقة بالستار المعدنى .. ماذا يحدث هنا ..؟.. لقد تم ترتيب كل شىء ليبدو المكان مغلقًا .. لماذا ؟

أما الطابق الأول / الأرضى فكان عبارة عن فوضى عارمة .. هناك زحام من الناس والعاملين .. قدرت أن العدد يقترب من الثلاثين .. ليس كبيرًا جدًا . هناك إشعاع سايكو فيزيائى قوى فى الجو يسبب الهلع والتوتر ..

ـ « أنت تدفعنى ! »

ـ « أنت الذى تتحرك أكثر من اللازم .. دعك من أن هناك نساء هنا .. »

ـ « ماذا تعنى يا وقح ؟ »

ـ « افهم ما تفهمه .. »

ـ « احترم نفسك أيها الحيوان !! »

وترتفع القبضات كالعادة ، وهى من اللحظات النادرة التى يكف فيها أبناء البحر المتوسط عن الجعجعة بالكلام فقط .. لكن

أحدهم يمنع التشابك .. إنه الأدرينالين أو الإشعاع السايكو فيزيائى الذى وصفه الخواجة برجسون .. اجعل واحدًا فى الجماعة يضحك ولسوف يضحك الجميع .. اجعل واحدًا يبدى الذعر أو التوتر ولسوف يذعر الجميع .. اجعل واحدًا يتحمس ولسوف يتحمس الجميع . هذا ما يحدث عندما يهاجم الجنود موقعًا فى الحرب....

عند الباب المغلق يقف عاملان يواصلان تحطيم الزجاج بأسطوانة إطفاء ، ثم يحاول أحدهما أن يرفع الباب الحديدى المغلق من الخارج .. لا جدوى .. يقفان فى مياه المجارى القذرة التى تسربت من الخارج ويحاولان .. صوت الارتطام يصم آذاننا ويتكرر بلا توقف . من الجنون أن تفعل هذا فى مكان مغلق ..

المشكلة أن هناك بابًا حديديًّا مزودًا بالقضبان .. بابًا متينًا فعلاً .. وهناك فجوة اتساعها ربع متر تفصله عن الستار الحديدى بالخارج . بالتالى من الصعب تحطيم الحاجزين ، دعك من ضرب الستار الخارجى ليسمعنا الناس بالخارج . تذكر أننا فى وسط المدينة وأن الشارع صاخب جدًا ..

صاح أحد المتزاحمين :

ــ « سوف يسمع الناس بالخارج صوت الدق .. لا شك فى هذا .. »

ــ « ليس فى شارع كهذا .. »

ــ « سوف يتوغل الليل وسوف يسمعون صوت الدقات .. هذا مؤكد ...

هكذا كان هناك زحام .. وكانت هناك غازات بطن لا بأس بها لأن أمعاء الكل تقلصت .. وكانت هناك دموع وهستيريا ..

لكن السؤال الذى ظل يلح علىّ هو : لماذا الآن ؟.. لماذا هنا ؟

* * *

من مكان ما برز الأستاذ (رفاعى) المدير ، الذى لا أعرف إن كان مديرًا إداريًا فقط أم هو مالك المكان .. له كرش ممتاز يوحى بالثقة . من السهل أن تخضع لشخصية من يملك كرشًا كهذا ..

شق الزحام وهو يأمر الناس بأن يهدءوا .. لا داعى للقلق .. سوف نخرج حالاً .. فقط أفسحوا الطريق.. ما دام مديرًا فسوف ينتهى هذا كله .. مسألة منطقية . ومن خلفه كان ذلك الموظف

النحيل المنافق المذعور يركض .. كيف عرفت أنه منافق ؟.. لأنه يبدو منافقًا ..

يقول رفاعى فى قرف دون أن ينظر للموظف :

ــ « أين ذهب (عونى) و(محمود) ؟.. كل واحد قد غاص تحت الأرض .. »

يقول الموظف وهو يلحق بالمدير :

ــ « يحاولان مع الباب الثانى يا سيدى .. باب العاملين .. »

ــ « المفترض أنه أسهل .. لماذا تأخرا ؟ »

ــ « سأرى ما هنالك .. »

وانطلق يركض باحثًا عنهما ، على حين نظر المدير للناس وصاح فى امرأة تقف مستندة إلى ثلاجة كهربية :

ــ « لو سمحت يا مدام .. سوف تتلف بهذه الطريقة .. »

هنا صاح زوجها وقد احتقنت عروق رقبته :

ــ « وأين تريد لها أن تقف ؟.. نحن مسجونون هنا وأنت تمنعنا من الاتكاء !.. إذن أخرجنا يا أخى .. »

فضل المدير الصمت وقد رأى أنه سيضيع صوته فى عشرات المشاجرات الفرعية.. ومضى بين الناس ينظر هنا وهناك ويصدر التعليمات للبائعين ..

بعد دقيقة ظهر الموظف المنافق ، وقد ازداد وجهه نحولاً وذعرًا وهمس بشىء فى أذن المدير ..

امتقع وجه الرجل ثم احمر قليلاً... عرفت أنه سيسأل عن طبيب.. هذا مؤكد ...

ــ « هل من طبيب هنا ؟ »

أنا أعرف أنهما ماتا طبعًا ..أعنى العاملين اللذين تأخرا .. لقد صرت خبيرًا بهذه الأمور ، لكنى أريد فعلاً فهم ما يحدث ... لهذا رفعت يدى كتلميذ نجيب .. أنا طبيب .. هيا بنا ..

ــ « أريد أن ... »

يا لك من ممل !... تريد أن أفحص الجثتين .. كل هذا مفهوم يا صديقى صدقنى .. لقد مررت بهذا الموقف ألف مرة ....لماذا يعيد الناس شرح أمور مفهومة وبديهية ؟

ــ « أعرف .. أعرف ... هيا بنا لنعرف سبب الوفاة ! »

- 3 -

المدير :

فعلاً لا أفهم كيف خمنت أنهما ماتا ؟

رفعت :

شرح هذا يطول للأسف ، لكن التعبير على وجه موظفك كان واضحًا .. هذا تعبير نذير الموت لو شئنا الدقة ...

المدير :

ومن هذا الآسيوى ؟.. هل هو صديقك ؟

رفعت :

نعم .. وأرجو أن تتحفظ فيما تقول لأنه يجيد العربية... هلم سلط الكشاف من فضلك ..

المدير :

أعوذ بالله !.. ما هذا ؟!! قم يا (عونى) .. قم يا (محمود) .. أنا الذى كدت أخصم منهما ..

رفعـت :

أرجو أن تتراجع قليلاً .. لحظة .. من الواضح أنهما ماتا . لا داعى للمحاولات البطولية .. لقد فرغا من الحياة تمامًا وهو مشهد لم أره فى حياتى .. رأيت ألعن حالات الجفاف والكوليرا المتقدمة ، لكن الأمر لا يبدو كهذا .. لو شئنا الدقة .. هذا جسد تهاوى من الداخل .. لم يعد فيه نسيج فوق آخر .. لا توجد قطرة من سائل حيوي؛ دمًا كان أو لمفًا أو عصارة معوية .. لا تقترب !.. يجب التأكد من أنه ليس هناك مرض يسبب هذا ..

الموظف المنافق :

وهل هناك مرض يسبب هذا ؟

رفعـت :

لا .. لكن لابد من مرة أولى دائمًا .. على قدر علمى فأنتما رأيتما هذا المشهد من قبل ..

المدير :

ولكن كيف عرفــــ .....؟

رفعـت :

أجب من فضلك !

المدير :

نعم .. الخفير الذى يدعى مصطفى .. وجدناه خارج دورة المياه بالطابق الثالث .. كان فى صورة كهذه ولم يعرف رجال الشرطة السبب قط .. لكن .. لماذا تكرر الأمر ؟

رفعت :

لا أحد يملك إجابات الآن .. ومن الواضح أننا لن نحرك هذين من هنا .. سوف تصل الشرطة ولو فى الصباح ويجب أن تراهما كما هما .. هل لى فى ملاءتين نغطيهما بهما ؟

المدير :

هات له ما يريد يا (ثروت)...

رفعت :

أكره أن أبدو مزعجًا بكثرة طلباتى ، لكن فهمت من كلامك أن هناك من يجرب فتح الباب الثالث ..

المدير :

نعم .. أعتقد أن الكهربائى (عبد الوهاب) يجرب مع إبراهيم الخفير ..

رفعـت :

قدنا لهما حالاً ...

المدير :

هل تعتقد ؟

رفعـت :

لا أعتقد أى شىء .. فقط لا أريد تكرار الظروف الملائمة للموت .. هيا بنا ..

(**عند الباب الثالث**)

المدير :

المكان ضيق هنا .. تعاليا يا (عبد الوهاب) ويا (محمد).. سوف نتخلى عن هذه المحاولة ..

عبد الوهاب :

لماذا يا سيدى ؟.. أعتقد أننا لو واصلنا الطرق فسوف ...

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

احترسا !!

رفعت :

تشبث جيدًا ..!.. لا تتركه ..!

المدير :

أعوذ بالله .. ماذا يدور هنا ؟.. سلط المصباح جيدًا يا (عبد الوهاب) !!

عبد الوهاب :

ما هذا ؟.. ثعبان يفر ؟.. لم أر ثعبانًا هنا !

إبراهيم :

كيف تمكنت من القبض عليه قبل أن يخرج من الفتحة ؟.. أنت سريع جدًّا .. من المؤسف أنه فر برغم ذلك ، لكنك اقتنصت قطعة من ذيله .. بينى وبينك لم أشعر أنه ثعبان واحد .. كأنه عدة ثعابين انقضت وفرت ..

رفعت :

دعنى أتفحص هذا الشىء .. إنه ممص .. ممص كممصات الأخطبوط .. وما زال ينبض ... هذا هو الشىء الذى هاجم الآخرين ..

إبراهيم :

هل هوجم الآخران ؟.. متى ؟.. وكيف ؟

رفعـت :

دعنا من الشرح الآن .. فلنرحل من هنا ...

إبراهيم :

أنا رأيت نفس الثعبان يا أستاذ .. رأيته ليلة وفاة المرحوم (مصطفى).. أقسم بالله .. قلت هذا لك يا أستاذ (رفاعى) واتهمتنى بأننى كنت أدخن شيئًا ممنوعًا .. هل صدقتنى الآن ؟

رفعـت :

يا أخى فلنرحل من هنا ، ثم تجد فرصتك لتمثيل دور الفتاة المظلومة فى أفلام (فاتن حمامة).. هيا بنا .. خذ معك هذا الممص يا (هن ــ تشو ــ كان) فقد نراه بشكل أوضح فى الخارج ...

ـ 4 ـ

بحثت مع (هن ـ تشو ـ كان) عن مكان منعزل نجلس فيه ، لهذا قررنا الصعود للطابق الثانى .. صاحت (نادين) فى قلق وهى تمد يدها لنا :

ـ « (هن ـ تشو) !.. إلى أين ؟ »

هز رأسه بحركة شبه عسكرية وهتف :

ـ « لا تقلقى .. سأناقش بعض الأمور مع ريفاات .. »

كنت أنا أمصمص شفتى فى سرى ... من الجميل أنها لم تُدَلِّلْهُ بـ (هنتشوهى) أو (هن هن)... ثمة شىء مهين فى هذا الاهتمام به وفى تعامله الساذج معها . إنه كاهن متفرد لا علاقة له بهذه الأمور .. إنه أكبر منها .. لكنى أعرف أن الأنثى إذا صممت على الظفر برجل فلسوف تظفر به.. لا مفر ولا مهرب.. ولكن ماذا عندما تعرف كل شىء عنه ؟ ليس مسلمًا ولا مسيحيًا ولا يهوديًا .. بل إنه ليس بوذيًا .. إنه كاهن نافاراى يا أختاه وهو الوحيد الذى يعتنق هذه العقيدة منذ قرون .. وهو آت من التبت .. إنه شىء متفرد غريب لا مكان له فى عالمك بتاتًا .. إنه زهرة زرقاء لا يمكن زرعها فى حديقتك ..

هنا انطفأ النور فى الطابق الثانى فصحت :

ـ « هل انقطعت الكهرباء هنا ؟ »

جاء صوت المدير العالى من أسفل :

ـ « لا .. حسبت أنه من الأفضل أن نوفر الكهرباء ما دمنا جميعاً فى الطابق الأول .. »

يا للغباء !... نحن مهددون بالموت وهو يفكر فى التوفير للورثة . عندما أعادوا الكهرباء (جزئيًّا) للطوابق الثلاثة ، صعدنا فى الدرج إلى حيث الطابق الخالى تمامًا ، فجلست على طرف منضدة وجلس (هن ـ تشو ـ كان) أمامى فى وضع الاحتباء يتأمل ذلك الممص الطرى البشع .

كان طوله يقترب من طول القلم .. وله نفس السمك تقريبًا .. لكن ممصات صغيرة فرعية كانت متراصة على محوره بشكل يذكرك بالأخطبوط فعلاً .

قلت لـ (هن ـ تشو ـ كان) :

ـ « للمرة الأولى أرى هذا الشىء ، لكن الغرض منه واضح .. لو رآه عالم أحياء فى أى مكان لقال إنه جزء من كائن يتطفل على الآخرين .. طفيل ... هذا جزء منه بلا شك .. » .

قال (هن ــ تشو ــ كان) :

ــ « وهذا الشىء يمارس عمله هنا .. لا نحتاج لذكاء كي نعرف أنه هو الذى هاجم الآخرين .. لكن كيف يبدو الشىء الكبير ؟.. لا أعتقد أنه يشبه الأخطبوط .. »

ارتجفت وأنا أتخيل ما يمكن أن يكون هذا الشىء عليه .. أول صورة وثبت لذهنى هى إنسان ضخم لكن ليس له رأس .. رأسه عبارة عن كتلة من هذه الممصات ، وهو خيال ليس أصيلاً جدًّا لأن (لافكرافت) تخيل كائنه المرعب الشهير (كتولو Cthulu) فى هذه الصورة .. صورة كابوسية رهيبة لو أردت رأيى ..

من الممكن أن يكون أقرب للزواحف أو الأخطبوط فعلاً ...

لكن صورة الإنسان الذى له رأس أخطبوط كانت تلح علىّ ..

قلت لـــ (هن ــ تشو ــ كان) وأنا أحاول ألا أنظر لهذا الشىء ثانية :

ــ « نحن الآن نعرف .. الطفيل الذى تتحدث عنه موجود هنا .. موجود فى هذا المتجر بالذات .. ومن الواضح أنه يملك قوى غير مادية .. وإلا فلا تفسير لانغلاق الأبواب علينا وانطفاء النور . هناك أشياء لا نفهمها .. لماذا الآن بالذات ؟ »

قال (هن ـ تشو ـ كان) فى ثقة :

ـ « إنه نداء .. نداء كالذى كان يدفعنى لدخول هذا المتجر .. الأخ ميانج يدعونى للمواجهة .. »

وراح صدره يعلو ويهبط كأنما يسمع نداء الأجداد .. ليكن .. إن كان هذا يريحه ..

قلت :

ـ « ربما كان الأمر كذلك .. لكن السؤال التالى هو : لماذا هذا المتجر بالذات ؟.. ثمة احتمال أن يكون قائمًا فوق إحدى فتحات جانب النجوم التى تجلب المسوخ والشياطين لعالمنا .. هذا جزء من حياتى لا تعرفه أنت .. لا أجد دليلاً على هذا ، ولا أعرف لماذا لم يعلن جانب النجوم عن نفسه من قبل هنا ، لكن هذا هو التفسير الوحيد حاليًّا .. »

قال (هن ـ تشو ـ كان) وهو يضرب قبضته بكفه :

ـ « السؤال الثالث : وماذا يريد منا ؟ »

قلت فى شرود :

ـ « الساعات التالية ستجيب عن هذا الجزء .. لو اعتمدنا على ما رأيناه حتى اللحظة فهو يريد قتلنا فقط .. ليس شيئًا خطيرًا.. »

– « ولماذا يريد قتلنا ؟ »

نظرت له وشعرت بالمزيد من التوتر .. لو كان هذا الشىء جديرًا بلقب الطفيل ، فهو يكبر فى الحجم ويزداد قوة مع كل ضحية جديدة .. إنه يستمد طاقتها وحيويتها ...

معنى هــذا أنــه لو انتهى مــن أمرنا فلســوف يكون كارثة حقيقية ...

السؤال الأخير وجهته أنا :

– « هل تعرف ما سنفعله ؟.. هل لديك سياسة ما ؟ »

قال وهو ينهض :

– « الشىء الوحيد الذى أقترح عمله أنا هو حرق هذا الممص .. ربما كان حيًا .. بل ربما كان قابلاً لأن يؤذى أو يعيد تكوين كائن جديد .. »

هذا الفتى عبقرى برغم أنه لم ير فيلم رعب فى حياته ..

سوف نحرقه ، لكن لنفعل ذلك فى مكان خال وبعلم العاملين هنا... نحتاج إلى بعض الكيروسين كذلك ..

* * *

بدا الممص بريئًا جدًا وهو يحترق .. توقعت كما فى أفلام الرعب أن ينتفض أو يخرج منه شىء مريع يقتلنا .. لكنه تصرف كقطعة لحم مسالمة ..

كنا هناك فى دورة مياه بالطابق الثالث ، وقد قام (إبراهيم) الخفير بإغراقه بالكيروسين ثم ألقى عليه عود ثقاب . لابد أنه شعر بالحنين لأنه تذكر حرق الثعابين فى الحقل فى قريتهم ..

وقفنا فى الظلام نرقب اللهب المتراقص .. وفى ذهن كل منا خواطره السوداء عما يدور . التفت المدير إلى الكهربائى وسأله بصوت عصبى منهك :

ـ « هل استطعت إصـــلاح شىء ؟.. الكهرباء ... كابلات الهاتف .. أى شىء ؟ »

قال الكهربائى بنوع من الفخر :

ـ « لا يا سيدى .. مواضع التلف داخل الجدران .. التآكل فى الخراطيم المدفونة ذاتها .. لا يمكن عمل ذلك الآن .. »

ابتلع المدير غضبه .. لو انفجر مع كل شىء مستفز لأصيب بالفالج الآن .. عليه أن يكون باردًا ويهدأ ..

كنا واقفين هناك وقد أصبنا بنوع من القصور الذاتى .. نقف فنظل كذلك للأبد .. نتحرك فنظل كذلك للأبد .. يبدو أن نيوتن عبقرى فعلاً ..

هنا ظهرت (نادين) تركض قادمة من الطابق السفلى ..

الذعر مع جهد الصعود جعلاها تحتاج إلى خمس دقائق كى تتمالك أنفاسها ، وفى النهاية قالت وهى موشكة على البكاء :

ــ « (هن ــ تشو) .. زوجى السابق .. مروان !.. إنه هنا ! »

ـ 5 ـ

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

هل تعنين ذلك الرجل ؟.. الرجل السيئ ؟

نادين :

نعم .. نعم .. إنه هنا ..

المدير :

هلا شرحت لى ما يدور هنا ؟.. أى رجل ؟

رفعـت :

هذا موضوع آخر .. تعالى يا مدام لنتكلم فى مكان آخر .. (**يبتعد بها**)

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

أين هو ؟

نادين :

كان فى الطابق السفلى وسط الزحام وقد كنت أبحث عن أشرف فرأيته يقف هناك خلف ثلاجة كبيرة .. درت حولها فرأيت

أباه يجلس على ركبتيه أمامه ويكلمه . أطلقت صيحة رعب برغمى فسمعنى .. نهض مسرعًا وتوارى على حين لحق بى أشرف .. طبعًا لم أستطع فهم أى شىء منه سوى (بابا).. سألته عما قاله مروان فلم يزد على : سألنى عنك !

رفعت :

وأين أشرف الآن ؟

نادين :

فى الطابق السفلى مع زميلة لى .. أنا متأكدة من أنه فى أمان ..

رفعت :

وأين مروان هذا ؟

نادين :

لا أعرف .. لم أحاول البحث أكثر ..

رفعت :

تعالى إذن ننزل ونبحث عنه .. إن الأمور معقدة بما يكفى فلا نحتاج إلى غبى يريد الانتقام كذلك .. حسبت أن الشرطة قبضت عليه أو شيئًا من هذا القبيل ... لابد أنهم اكتفوا بتحرير محضر

عدم تعرض له وأطلقوا سراحه ، كأن من يهدد بالسكين حريص على ألا يخرق تعهداته القانونية .. لم أفهم هذا المنطق يومًا . ليس بعد الكفر ذنب ، وليس بعد التهديد بسكين جريمة ..

نادين :

هذا صحيح للأسف .. تعال ننزل ..

(هن - تشو - كان) :

لو وجدناه .. سوف أضربه ..

رفعت :

بالطبع .. هذا أقل ما يجب .. لا إنذار بالسارايانا ولا هذا الكلام الفارغ .. الرجل بطة ميتة فعلاً لا يفصله عن الموت سوى لقائك ..

(الطابق السفلى المزدحم)

رفعت :

فلننتشر ونبحث عنه ، فهو لن يقف ينتظرنا كالبلهاء .. أقترح أن تكونى أنت مع (هن ـ تشو ـ كان) فأنا لا أريد مفاجآت .. أما أنا فسأعتمد على الحدس لأننى لم أره من قبل . رهانى هو أن الأزواج السابقين الذين اسمهم (مروان) يبدون كذلك ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

لن يهاجمها وسط هذا الزحام ..

رفعت :

يا سلام !.. لقد برهن على أنه مجنون من قبل .. هو يريد أن يخرج براكين غضبه بأى شكل وليكن ما يكون بعدها ، حتى لو سحقوه بالأحذية .. إذن الانقضاض عليها وغرس السكين فى عنقها لن يستغرق سوى ربع ثانية.. عندما يدرك الناس ما حدث فعلاً تكون هى قد قالت : وداعًا .. اعتنوا بابنى .. ثم تموت ..

(**بعد دقائق**)

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

هل وجدت شيئًا ؟

رفعت :

لا .. لم أجد شخصًا واحدًا يمكن أن يكون زوجًا سابقًا اسمه (مروان) ، دعك من أن يكون قلبه جريحًا.. وواضح أنك لم تجد ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

سوف أفتش الطوابق العليا ..

رفعــت :

هناك عشرات المخابئ هنا .. أعتقد أننا لن نجده .. لربما كان الأحكم أن تظل قرب الفتاة .. على كل حال لن يتعبنا هذا الفتى كثيرًا لأنه سيكون الضحية التالية ..

(**هن ــ تشو ــ كان**) :

من قال لك هذا ؟

رفعــت :

هذه هى قواعد قصص الرعب وأفلامه .. لقد ولد خاسرًا وهو قابل للاستغناء عنه وشرير .. سوف يتوارى فى مكان خطر فينفرد به هذا الطفيل وتكون عدالة شعرية لا بأس بها ... للأسف لا يحدث فى الحياة ما يحدث فى قصص الرعب بالضبط ، لكنى أرى هذا السيناريو واردًا ..

(**هن ــ تشو ــ كان**) :

من جديد تقول كلامًا غريبًا يا ريفات ..

رفعت :

ما دمنا بصدد الكلام الغريب .. لقد فكرنا فى أن يكون هذا الطفيل شبيهًا بأخطبوط عملاق أو رجل له رأس ذات مصاصات .. هذه احتمالات مرعبة .. لكن هناك احتمالاً أكثر بشاعة ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

وما هو ؟

رفعت :

أن يكون واحدًا منا .. أن يبدو مثلى ومثلك ، ويخفى حقيقته المرعبة تحت ثيابه .. ألم تفكر فى هذا ؟

— 6 —

أن يكون ذلك الشىء المخيف واحدًا منا ويبدو مثلنا بالضبط . احتمال مرعب لكنه وارد ..

أنا بحاجة إلى الانفراد بنفسى لتقييم الموقف .. أريد لحظة هدوء واحدة أمسك فيها بورقة وقلم وأكتب المعطيات ، وهو ما أقوم به بنجاح فى فراشى فى كل مرة ، لكن المشكلة هنا أننى لا أصير وحدى أبدًا .. هناك دائمًا شىء يحدث .. الحق فى الانفراد حق بشرى مهم جدًّا لكن لا يظفر به سوى نزلاء السجن الانفرادى أو الموتى فى قبورهم على ما يبدو .

لاهثا صـــعدت إلى الطــابق الرابع وكان الظلام يعم المكان باستثناء مصابيح قليلة مضاءة . تنعكس الأضواء الخافتة على دراجات الأطفال والدمى الموضوعة على الأرفف ، فتلتمع عيونها الزجاجية المخيفة .. الموت والحياة معًا فى وجه واحد يضحك بقسوة .. لهذا أخاف الدمى منذ صغرى ..

جلست على الدرج ورحت أفكر فى عمق ...

فجأة خيل لى أن هناك شيئًا يتحرك فى ركن المكان.. عند ذلك الدرج الذى يستعمله العاملون ، وهو كذلك المكان الذى يحتفظون فيه بأسطوانات الإطفاء وخرطوم الحريق ..

أجفلت للحظة ثم فطنت إلى أنه كائن بشرى أطل بجسده ثم عاد إلى الداخل ..

ــ « من هناك ؟ »

ناديت بصوت أثار رعبى أنا نفسى فلم يرد أحد ..

نهضت لأتبين من يتحرك ، لكن التوتر مع الهبوط من فرط النهوض السريع جعلا قلبى يتواثب كأنه جناحا طائر طنان .. ماذا يحدث ؟

الدوار .. الدوار .. تمسكت بالترابزين كى لا أسقط من حالق ، ثم ألقيت بجسدى على الأرض . إننى موشك على فقدان الوعى أو الإصابة بنوبة قلبية .. هناك سائل كريه الرائحة سقطت فيه ..

فجأة اتسعت البقعة السوداء أمام عينى ..

قلبى ضعيف جدًا وتلك هى المشكلة .. كان (هنتر) الطبيب البريطانى العظيم يقول إن قلبه ضعيف ، وحياته تحت رحمة أى أحمق يستفزه .. من الغريب أنه مات فعلاً فى مناقشة طبية حامية . أنا حياتى تحت رحمة أى أحمق يثير هلعى فجأة أو يرغمنى على بذل جهد زائد ..

البقعة تتسع ...

إننى أغووووووووووووص...

أشعر به .. يمكنك أن تشعر به معى ..

إنه يتحسسنى فى نهم .. له ملمس كريه رطب بعض الشىء .. كأن أحدهم وضع ضفدعًا مبتلاً هناك ..

أشعر به على ساقى .. يتلمس بطنى .. أشم رائحته الكريهة ..

تلك الرائحة !!! أعرفها ....

لا جدوى من الفرار يا (رفعت).. أنت فاقد الوعى تقريبًا .. لن يسمع أحد صراخك لو صرخت ، لكن هل أنت قادر على الصراخ فعلاً ؟

كنت أحمق حينما انفردت بنفسك.. أحمق عندما ابتعدت عن (هن ــ تشو ــ كان) ، وإن كنت أرغب فى أن أرى كيف كان سيتصرف ..

لا أستطيع فتح عينى .. من حقى معرفة ذلك الشىء الذى قتلنى .. كيف يبـــدو ؟.. لكنى بالفعـــل لا أقـــدر .. وأدرك أنه يتحسس وجهى الآن ..

إذن أنت الطفيل ....؟... مع كل الأشياء والأهوال التى رأيتها فى حياتى لم يخطر ببالى أن يقتلنى كائن يحمل هذا الاسم ، والأسوأ أننى لا أعرف كيف يبدو ..

* * *

عندما فتحت عينى كان هناك اثنان يحملاننى فى غير رفق . واحد يمسك بقدمى وواحد يمسك بذراعى .. كأننى زكيبة قمامة ينويان التخلص منها .. حتى إننى رحت أتساءل فى قلق عن لحظة يقولان : هيلا هوب !.. ثم يلقيان بى ..

وسمعت من يقول :

ـ « أنت بخير .. لقد فقدت وعيك .. قدر ولطف .. »

كنت أرى كل شىء مقلوبًا وكشافات النيون تتحرك فى السقف كأنها أطباق طائرة فى عالم غريب ، ثم سمعت (هن ـ تشو ـ كان) يقول وهو يمسك بيدى :

ـ « ريفات .. ماذا حدث ؟ »

يبدو أننى الآن كنت راقدًا على فراش بالطابق الثاني.. فراش جديد مغلف بالمشمع وتفوح منه رائحة الخشب الطازج ، هناك

بطاقة تحدد السعر ملصقة قرب رأسى .. كأن هذا سعرى أنا . وكأن هناك من يرش وجهى بالماء ..

قلت وأنا أحاول النهوض :

ـ « هل رأيته يا (هن ـ تشو ـ كان) ؟.. الشىء كان يهاجمنى .. »

ـ « كنت فاقد الوعى أعلى الدرج .. وجدك أشرف ابن نادين .. أصابه الرعب وجرى ينادى أمه .. سألته عن سبب ذعره فقال كلمة واحدة هى (عمو) .. »

ـ « إذن لم يكن شىء يهاجمنى ؟ »

ـ « بالتأكيد لا .. »

لكنى كنت أعرف يقينًا أن ما شعرت به حدث حرفيًا .. لماذا لم أمت ؟.. ثمة احتمال لا بأس به أن يكون الشىء قد أصيب بالرعب لدى ظهور الطفل فانصرف .. نظرية ضعيفة لأنه بوسعه بالتأكيد أن يظفر بنا معًا . الاحتمال الآخر هو أنه تحسسنى فقدر أننى أموت .. لا توجد دورة دموية تقريبًا والنبض واهن والوعى غائب .. هكذا وجد أنه لن يحقق شيئًا لو امتص طاقتى .. لن تضيف له شيئًا أو لعلها تضعفه .. باختصار : لقد تفحص الموت جسدى ثم انصرف مشمئزًا !

جلست مترنحًا ونظرت إلى منقذى فرأيت وجهين لم أرهما من قبل .. إنهما من العاملين فى المتجر بالتأكيد ..

ــ « هل تقدر على النهوض ؟ »

ــ « أعتقد ذلك .. شكرًا لكما .. »

انصرفا فاستدرت إلى (هن ــ تشو ــ كان) وقد تذكرت شيئًا :

ــ « لماذا صعد الصبى وحده إلى الطابق الرابع شبه المظلم ؟.. نصف الموجودين البالغين هنا لا يملكون هذه الشجاعة .. »

* * *

قال (هن ــ تشو ــ كان) وهو يساعدنى على النهوض :

ــ « هذا طبيعى .. كان يبحث عن أمه .. »

ــ « وأين أمه ؟ »

ــ « لا أعرف .. لقد صعدت إلى الطابق الثالث معه .. ثم اختفت فجأة .. »

قلت فى غيظ :

ــ « يا لك من أحمق .. قلت لك ألا تتركها تغيب عن نظرك .. »

ـ « قالت إنها ترغب فى دخول الحمام . الحمام فى الطابق الثالث نظيف حسب كلامها .. »

ـ « إذن أرجو أن تتركنى وشأنى واذهب للبحث عنها .. لا تنس أن هناك مخبولاً يلاحقها .. »

تركنى (هن ـ تشو ـ كان) واندفع بخطواته الرشيقة السريعة إلى الطابق الثالث . هنا رأيت ذلك الطفل أشرف يقف على مسافة منى وهو مذعور .. طفل فى الثالثة لا يجد أمه من أبسط حقوقه أن يجن رعبًا ...

تعال يا بنى وأمسك بيدى .. لا تتركها .. سوف نبحث عن أمك معًا ..

لكننى أنسى أن شكلى يخيف الأطفال .. هكذا راح ينظر لى فى ثبات وشفته السفلى ترتجف بتلك الطريقة الكهربية الاستاتيكية المنذرة بهطول المطر .. ثم انفجر فى البكاء ..

مددت يدى نحوه .. هنا أطلق ساقيه للريح هاربًا ..

هنا ألف خزانة ثياب وألف فراش وألف صالون فى هذا الطابق .. من المستحيل أن ألاحقه وسط هذه الفوضى .. دعك من أن الإضاءة ليست على ما يرام .. جميل جدًّا .. سوف نجد الأم لنكتشف أننا فقدنا الطفل .. هكذا الحياة لو أردت أن تلخصها ..

مشيت مترنحًا وسط الظلال وصممت على أن أترك الأمور كما هى . من الصعب أن ألاحظ كل إنسان فى هذا المتجر .. أنا دنوت من الموت كثيرًا وعدت . هذا كاف ..

دعك من أننى وحيد الآن فى هذا الطابق ، ولا أشتهى أن أكرر هذه التجربة ثانية ..

هكذا اتجهت إلى الدرج عازمًا على الصعود إلى الطابق الثالث .. أعتقد إن لم تَخُنِّى الذاكرة أن المدير المدعو (رفاعى) هناك مع من كانوا يحرقون ذلك الممص .. أعتقد أنهم لم يرحلوا .. ربما يكون (هن ـ تشو ـ كان) هناك ونادين كذلك إن لم يكونا نزلا دون أن أراهما ..

رحت أصعد فى الدرج بقدمين كالعجين متمسكًا بالترابزين وأنا أنظر لأعلى .. كان هذا المكان يعج بالحياة منذ ساعات وكانت هنا (نادين) وعشرات البائعات ..

الآن هو مكان مظلم تقريبًا خال من البشر ..

أين رفاعى ومن معه ؟..

اتجهت إلى المكان الذى قمنا فيه بحرق الممص .. الحمام النظيف الذى لابد أن نادين تستعمله الآن أو استعملته ..

لم أستغرق وقتًا طويلاً حتى أفهم كنه هذا الشىء الذى يسد مدخل الحمام . هذه الكومة من الثياب ..

لم يعد هناك كرش ضخم .. ولم تعد هناك ثقة زائدة بالنفس ..

إنه المدير يرقد هناك وهو يحملق فى السقف . انحنيت لأتفحص جثته لكن هذا كان تضييع وقت .. جثة فارغة امتص منها كل شىء كما حدث مع آخرين .. الخدان غائران والعينان غائصتان كألعن حالة جفاف رأيتها فى حياتى . الجلد جاف تمامًا مجعد والبطن مقعرة ..

فتحت ياقة قميصه ، وشمرت سرواله وكميه بحثًا عن شىء .. بالفعـل .. هنـاك آثار غريبة كأنها جروح مستديرة .. كأنها ممصات تم غرسها هناك إلى أن تتم عملية الامتصاص ، وأنا أعرف كيف تتصرف هذه الممصات وكيف تؤدى عملها ..

كان معه إبراهيم الخفير والكهربائى فأين هما ؟

نهضت من مكانى ورحت أفتش وراء مناضد البيع .. هنا كميات هائلة من الثياب الأنثوية ، لكن لا جثث ..

لحظة ..

هناك كومة على الأرض وأعتقد أنها .. لا . ليست جثة .. هى كومة ثياب فعلاً ..

جثوت على ركبتى وفحصتها بعناية ..

جلباب .. كلسون داخلى مما يلبسه الفلاحون .. صديرى .. هذه ثياب الخفير إبراهيم ..

لكن لماذا نزعهـــا وألقاها هنا ؟... لو كان الشىء قد ظفر به فأنا لم أسمع أنه يجـــرد الضحايا من الثياب .. وأين الجثة ؟.. وأين بندقيته ؟

هنا سمعت صوت خطوات .....

ـ 7 ـ

رفعــت :

(هن ـ تشو ـ كان) !.. كنت أتمنى أن تكون أثقل حركة . إن حركاتك الخفيفة هذه لا تناسب أعصابى ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

آسف يا ريفاات .. لقد وجدت نادين ...

رفعــت :

الحمد لله .. خبر طيب فى هذا اليوم العجيب ..

نادين :

لقد كنت أموت ذعرًا .. أنت رأيت الجثة .. لقد مات الأستاذ رفاعى ومنظر جثته .... لا أستطيع الوصف .. هل رأيته ؟.. هه ؟.. هل رأيته ؟.. من الذى جرؤ على عمل هذا ؟

رفعــت :

أنت تخلطين بين حالة الجثة البشعة وبين كونه المدير .. حسب كلامك من حق القاتل تشويه الجثة إذا لم تكن المدير ..

نادين :

لا أقصد ذلك .. بل أقصد .. لا أعرف كيف أعبر .. رباه !

رفعت :

أفهم .. كان المدير يبدو خالدًا أقوى من الموت ذاته ، وكأنه سوف يدفننا جميعًا . يبدو الأمر غريبًا لك . المهم .. هل وجدت أحدًا بقربه ، وللمزيد من الدقة... هل خيل لك أنك رأيت شيئًا زاحفًا يبتعد ؟

نادين :

لا .. لا شىء من هذا القبيل .. كنت على وشك دخول الحمام هنا وجدت جثته . كدت أتعثر فيها ..

رفعت :

هل من أثر لذلك الخفير الذى نسيت اسمه .. (إبراهيم).. ؟.. ألم تقابليه ؟

نادين :

بلى .. قابلته منذ دقائق .. كان يهبط فى الدرج مسرعًا .. لم يلتفت لنا .. حتى أنه لم يترك لى فرصة لأخبره بموت المدير .. قدرت أنه رأى الجثة ومذعور ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

وكان يلبس ثيابًا غريبة .. لم يكن يلبس زيكم الوطنى هذا .. الجلباب .. كان يلبس ثيابًا غربية .. وفى يده البندقية ..

رفعــت :

لم يتخل عن البندقية طبعًا فهى عهدة .. وبالطبع كان هناك شىء غريب فيه .. هل لاحظت هذا يا نادين ؟.. النساء يلاحظن هذه الأشياء بينما الرجال حمقى كالعادة .. هل لاحظت شيئًا غريبًا ؟

نادين :

لاحظت ماذا ؟.. لا أدرى .. بدا لى أكثر بدانة .. ربما أضخم مما أعرفه .. أعتقد أن لخداع البصر دورًا هنا ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

ماذا تريد قوله يا ريفات ؟.. أنت تلمح إلى أنه آخر واحد كان مع المدير .. هه ؟..

رفعــت :

الآن لماذا غير ثيابه ؟ .. ومن أين جاء بهذه الثياب الجديدة ؟

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

من جديد تحاول قول إن حجمه ازداد .. صارت الثياب ضيقة .. إن فكرة أن الطفيل يبدو مثلنا لا تفارق خيالك .. أجد الأمر غريبًا أن يكون الرجل قد امتص الحياة من المدير فتضخم وصارت ثيابه ضيقة .. سرق ثيابًا أخرى أوسع وانطلق يبحث عن ضحية أخرى ..

رفعت :

لا تنكر أنه ليس منطقًا سيئًا .. قلنا إن الطفيل يزداد حجمًا مع كل قتل .المنطق يقول هذا ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

لا تنس أنه حضر حالة قتل ، وكان من الممكن أن يموت هو الآخر ...

رفعت :

ما نعرفه عن القصة هو كلامه .. ما قصه علينا.. من أدراك أنه لم يقتل زميله ثم قام بتأليف القصة التى حكاها ؟

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

هل تعتقد أنه أصيب بعدوى ما ؟

رفعـت :

ربما .. وبهذا نكون فى استطراد لفيلم (غزو خاطفى الأجساد) ... عقدة البارانويا حيث لا يمكنك أن تثق بأخيك أو أمك.. ولربما هو كذلك منذ البداية .. أعتقد أن علينا أن نعرف أين هو بالضبط .. وقد أكون واهمًا ..

نادين :

لا أفهم ما تتكلمون عنه .. فعلاً لا أفهم .. لكن السؤال المهم بالنسبة لى هو أين أشرف ؟ .. فليذهب إبراهيم إلى حيث ألقت ..

رفعـت :

هذا صحيح .. لقد فر أشرف منى .. لا تطالبينى باللحاق بطفل صغير بحالتى هذه .. أعتقد أن علينا البحث فى الطابق الثانى .. هناك ثلاثة من المختفين إذن.. الطفل .. والده.. إبراهيم ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

هل ترى أن ننقسم إلى مجموعات ؟

رفعـت :

لا . بل إلى مجموعتين فقط .. تذكر ألا تفارق نادين لحظة .. لا تنس كذلك أننى لا أعرف شكل الزوج السابق مروان ولو اصطدمت به لما عرفت ذلك ..

نادين :

لم لا نطلب من المتجمعين فى الطابق السفلى البحث معنا ؟

رفعت :

المشكلة هى أننى لا أعرف بمن أثق .. أخشى أن أكون مخطئًا .. سوف نعتمد على أنفسنا .. وجودهم بالطابق السفلى معًا يطمئننى أن أحدًا لن يجد نفسه وحيدًا أو ينفرد بالآخر ..

نادين :

وجثة المدير ؟

رفعت :

المكان بدأ يعج بالجثث .. فلنترك كل شىء كما هو .. فقط سوف نغطيه بملاءة كالعادة ...

* * *

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

الآن أنت تعرفين ما أعرفه عن القصة ...

نادين :

كل هذا عسير على التصديق.. إنها هلاوس ولا شك فى ذلك ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

هذه الهلاوس تقتل .. أعتقد أنها خطرة حتى لو كانت مجرد هلاوس كما تقولين ..

نادين :

وأنت .. من أنت ؟

(هن ـ تشو ـ كان) :

سؤال غريب طبعًا .. قلت لك إننى رجل أعمال صينى يجيد الكونج فو واللغة العربية ... ريفاات صديق قديم لا أكثر .. وهو من يعتقد بوجود طفيل مخيف فى هذا المتجر .

نادين :

أعرف هذا كله ولا أصدق حرفًا .. حاسة المرأة لا تكذب.. إنها مرهفة كالنصال وحاستى تقول لى إن قصتك ليست ما تقول .. ربما هى غير ذلك .. ربما هى أكبر من ذلك .. أحيانًا أشعر أنك من عالم آخر ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

بالفعل أنا من عالم آخر .. أنا صينى ..

نادين :

ليس هذا ما أعنيه .. أنت تعرف ما ....

(**هن - تشو - كان**) :

دعينا من هذا الكلام الذى لا نهاية له ، ولنواصل البحث .. لا يبدو أن ريفـــات أحرز أى نجـــاح .. على كل حال هو لا يجد شيئًا أبدًا عندما يبحث عنه ... إنه ليس أحمق لكنه بالتأكيد يتصرف مثلهم ..

نادين :

لست قلقة .. أشرف يتوارى كثيرًا فى مخابئ المتجر عندما يكون معى ، ويظهر قبل أن أقلق .. يعتبرها نوعًا من لعبة المساكة ..

(**هن - تشو - كان**) :

ليس عندما يكون هناك كائن مرعب يهاجم الناس .. أنا قلق فى الواقع ..إن هذا المتجر أربعة طوابق لكننى أشعر بأننا نفتش كهفًا واسعًا .. هناك أركان كثيرة .. مخارج طوارئ .. دورات مياه .. والكثير من الظلال . كل بقعة ظل هى بالنسبة لى كهف يتوارى فيه شىء ...

نادين :

لحظة .. هل رأيت هذا ؟

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

ماذا هنالك ؟

نادين :

لقد وجده مروان !.. وجده !..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

عم تتحدثين ؟

نادين :

إن غرفة المحاسب مفتوحة .. هل تراها ؟.. لقد أطل مروان من بابها للحظة وكان أشرف معه .. كان يحمله على كتفه ، وعندما التقت عينانا ضحك فى تشف وتوارى بالداخل .. إنه ينوى أن يهددنى به !

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

لن يفعل هذا .. إنه ابنه ...

نادين :

وهو كذلك مجنون .. المجانين يمزقون سواعدهم بالموسى ، ولربما آذوا أطفالهم ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

سوف ألحق به .. أكره التلاميذ الذين يحتاجون لسماع الدرس عدة مرات ..

نادين :

لا !..لا تفعل .. قد يكون أسرع منك .. قد يؤذى ابنى ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

ليس هناك كائن حى أسرع منى على ما أعتقد ... انتظرى هنا وسوف أنهى الأمر ...

ـ 8 ـ

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق..

عندئذ يبدأ فجر النافاراى ..

* * *

التقاليد هى عماد التحضر .. لقد دنا (هن ـ تشو ـ كان) من الباب الموارب فى حذر ، ونظر حوله ..

كان يزحف كالفهد المتأهب للوثب ، وأدرك أنه لن يكون هناك وقت لطقوس السارايانا لأنها ستعطى الخصم وقتًا كى يؤذى الصبى . لذا وقف بجانب الباب وأداها همسًا ولنفسه .. هكذا سوف يكون ظهوره الأول هو الهجوم ... هذا نوع من الغش تبرره الظروف كما ترى ..

اتخذ وضعًا قتاليًا ممتازًا من أوضاع السارايانا ، وهو وضع يتيح له أن يثب ثم يقف على قاعدة عريضة تحفظ توازنه ...

هنا فوجئ بالشىء الصغير يندفع من الغرفة صارخًا باكيًا ، فيمر به ولا يلتفت .. ثم يواصل الركض إلى حيث كانت نادين واقفة لا تفهم ما يحدث ، فارتمى فى حضنها باكيًا وهو يردد :

ــ « بابا !! »

جميل جدًّا .. لقد صار الزوج المطعون فى حبه وحيدًا .. ليكن مسلحًا أو غير مسلح.. لقد انتهى أمره إذن ... كان سيتعب الكاهن الأخير قليلاً .. لكنه الآن لن يتعبه على الإطلاق . سوف يعامل معاملة الذبابة ، فيما عدا أن الذبابة لا تحدث كل هذا الضرر ..

وهكذا وثب (هن ــ تشو ــ كان) إلى داخل الحجرة واتخذ وضع التوازن إياه ، ثم توقف ..

كان المشهد الذى رآه كافيًا جدًّا كى يتوقف ..

بلل شفته السفلى بلسانه .. يا للحر !.. الحرارة تتصاعد إلى رأسه . هكذا نزع سترته ليصير بالقميص والبنطال وانتزع ربطة العنق الكريهة ، وتحسس بطنه ليتأكد من أن كتاب الشوكارا ما زال هناك ، ثم خرج من الغرفة ..

هناك كان الصبى الباكى يحكى لأمه :

ــ « لقد وثب عليه شىء مخيف ! كان يصرخ .. سقط على الأرض وهو يصرخ .. »

نظرت (نادين) إلى (هن ــ تشو ــ كان) نظرة متسائلة ، فرأت التعبير على وجهه .. الرسالة واضحة ومفهومة ..

وقـف جوارهـا فهمست له وهى تعبث بشعر الصبى فى عصبية :

ــ « هل هو ؟ »

ــ « نعم .. مثلهم جميعًا .. ملقى جوار المكتب ومنظر الجثة لا يسعد الناظرين .. »

ــ « بهذه السرعة ؟ »

ــ « لو أن الصبى استطاع أن يشرح لنا من أين جاء الخطر لفهمنا أكثر .. هناك نافذة بالغرفة لكنها مغلقة ويبدو أنها لم تفتح منذ دهور .. »

هنا بدأت الدموع تحتشد فى عينيها ثم تصب فى أنفها .. بدأت تهتز وتبكى بينما (هن ــ تشو ــ كان) ينظر لها فى دهشة . يبدو أنها قررت أن تمارس انفعالات الأرملة فجأة .. أحيانًا تبدو رقة النساء بلاهة بالنسبة للرجال .. هذا الذى مات بالداخل عدوها وكاد يفتك بها من قبل . لكنها لم تكن تبكى زوجها بالذات .. كانت تبكى قسوة الحياة ذاتها وحقيقة أننا نموت .. كنت تبكى حزمة كاملة من الذكريات .. تبكى نادين الأخرى القديمة التى لن تعود للأبد ..

عندما هدأت قليلاً وتمخطت كثيرًا بدأت تثوب لرشدها وتتذكر أن من مات طليقها وليس زوجها . لهذا اتسعت عيناها رعبًا وقالت :

ــ « إن شيئًا لم يخرج من الغرفة .. هل فهمت ؟.. الخطر ما زال بالداخل ... »

ــ « لا يوجد شىء بالداخل .. »

ثم تذكر شيئًا ، فأضاف :

ــ « ما لم يكن الطفيل قد تسرب إلى داخل الجثة . من الوارد أن يتوارى عن العيون عبر فتحات الجسد .. »

ثم انحنى على الصغير وركع على ركبة واحدة وقال له بلهجة إغراء :

ــ « أشرف .. هل تعرف ذلك الشىء الذى هاجم أباك .. من أين جاء ؟ »

ازداد الصبى رجفة والتصق بأمه أكثر .. نظرة عينه كانت توحى بغباء مطلق مع هلع هستيرى لا يمكن السيطرة عليه .. وكان كل ما قاله :

ــ « أبى .. الشىء !!.. الشىء !! »

* * *

كان هذا هو الوقت الذى وصلت فيه لأجد هذا الحفل .. كان المكان شبه مظلم ، لكن مكتب المحاسب كان مفتوحًا .. وفى الخارج وقف (هن ــ تشو ــ كان) متوترًا متحمسًا ، ونادين باكية تحتضن ابنها وتلثمه .. أشار لى (هن ــ تشو ــ كان) إشارة ذات معنى إلى الباب فهرعت هناك لأجد جثة رجل له ملامح زوج سابق مطعون فى حبه اسمه (مروان) ..

لن أكف عن أن أكون عبقريًا .. قلت بالحرف من قبل : « لقد ولد خاسرًا وهو قابل للاستغناء عنه وشرير .. سوف يتوارى فى مكان خطر فينفرد به هذا الطفيل وتكون عدالة شعرية لا بأس بها ... »

كانت الجثة ملقاة جوار المكتب .. الأرض مبللة بسائل ما كريه الرائحة أعتقد أنه من إفرازات الجسد ضمن ما تم امتصاصه ..

بالفعل كان الرجل ينتوى عمل مأساة ، لأننى تحسست جيبه فوجدت شيئين .. زجاجة من حمض الكبريتيك المركز أو ماء النار .. خمنت هذا من شكل السائل ورائحة السدادة ، وخنجرًا حادًا يذكرك بالخناجر التى تراها فى السينما ..

كان قد خلا من الحياة تمامًا .. خلا من عصارته الحيوية .. لكن أين ذهب العدو ؟.. يقول (هن ــ تشو ــ كان) إن أحدًا أو شيئًا لم يغادر الغرفة ، وأنا لا أصدقه .. لا أثق بشهادة العيان التى يدلى بها شخص غير مستقر عاطفيًا .. هنا لا توجد نوافذ تسمح بخروج الطفيل ، دعك من أننى لا أبتلع فكرة أن يكون توارى فى جسد ضحيته .. فكرة سخيفة ..

دسست ما وجدته فى جيبى عالمًا أننى على الأرجح سأستفيد من هذين السلاحين أكثر مما سيفيد منهما رجال الشرطة .

الحقيقة أننى بدأت أرجح أننا لن نرى رجال الشرطة . سوف يظهرون ولكن بعد انتهاء فصول المسرحية ..

قمت بتغطية وجه الجثة المرعب بسترة (هن ــ تشو ــ كان) التى كانت هناك .

المشكلة هى أننا فعلاً لا نعرف شكل عدونا ولا خصائصه .. شىء يهجم بهذه السهولة ويتوارى بسهولة .. يعطى انطباع أنه ثعبان ويعطى انطباع أنه أخطبوط ، كما يوجد احتمال لا بأس به أنه (إبراهيم) ...

رباه !.. ما هذا الظلام ؟.. أريد بصيصًا من الحقيقة .. أريد أن أفهم ..

ثم سمعت الضوضاء من الخارج ..

خرجت مسرعًا لأرى (إبراهيم) الخفير هو نفسه .. كان يقف هناك فى الممر قرب الخزانة ، وهو يصوب بندقيته الحكومية نحو .. نحو (هن ـ تشو ـ كان) والفتاة والصبى طبعًا ..

بالفعل كان إبراهيم يلبس ثيابًا عصرية ولا أعرف هل هو الخيال أم لا لكنه بدا لى ضخمًا .. أضخم مما عرفته من قبل ..

كانت يده ترتجف ومعها ترتجف الفوهة ، وهو يصيح بلهجته الريفية :

ـ « لا تتحرك! .. سوف أطلق الرصاص فى المليان ! »

قال (هن ـ تشو ـ كان) وهو ينظر للبندقية ويبتسم بثقة :

ـ « ابتعد أنت يا ريفات .. أؤكد لك أنه سيطلقها.. أعرف لحظات فقدان الأعصاب جيدًا .. »

صحت أنا بسرعة قبل أن يتهور الخفير :

ـ « ماذا هنالك ؟ »

قال الخفير وهو لا يرفع عينيه عن (هن ـ تشو ـ كان) :

ـ « هذا الرجل الصينى يريد أن يحبسنى .. يتهمنى بقتل الأستاذ رفاعى ، لكنى أنا أتهمه بفتح غرفة المحاسب للسطو على ما فيها .. أتهمه كذلك بقتل الأستاذ رفاعى .. ماذا تفعلون هنا بينما الجميع فى الطابق السفلى ؟ »

قلت له وأنا أخشى أن يجن فجأة :

ـ « دع هذه البندقية .. أنت ترى أننا غير مسلحين . كف عن الجنون ولا تزد الأمور سوءًا .. »

ـ « لا .. »

ـ « يمكنك أن تقتلنا ، لكنى أريد أولاً فهم لماذا بدلت ثيابك ؟ »

أغرب سؤال ممكن بالنسبة له ، لذا نظر لى فى غباء ثم قال :

ـ « هذا ليس من شأنك .. لقد اتسخ الجلباب وما تحته بهذه المياه النجسة .. إنها فى كل مكان .. استعرت هذه الثياب من قسم الملبوسات .. »

كنت أنا قد كونت وجهة نظر لا بأس بها : الرجل برىء تمامًا وهذا كله سوء فهم . لكن لا يمكن أن نجازف .. بالفعل سيكون من الأفضل أن نحبسه فى مكان ما ..

رأيت شفتى (هن ــ تشو ــ كان) تتحركان فعرفت أنه يتلو تحذيرات السارايانا ، وبالفعل كان ينقل قدميه ببطء مع الخطوات الثلاث .. باختصار كان يؤدى الحركات وينذر الرجل لكن بشكل خافت رمزى بحيث لا يسمع الإنذار.. فعرفت أن السهم غادر الوتر ..

بعد ثانية كانت البندقية فى يد الكاهن الأخير والخفير على الأرض ، وقد استقر دبشك البندقية على عنقه مهددًا بتهشيمه .. بينما قدم (هن ــ تشو ــ كان) اليسرى على صدره ..

ــ « سوان هاتشاد سارايان !! »

قالها فى فخر . لا داعى للنصب يا فتى ، فالرجل لم يسمعك ولو سمعك لما فهم .. لو كان الرجل يعرف معنى السارايانا ومعنى مواجهة كاهن نافاراى لتخلى عن البندقية طوعًا ..

ــ « كفى يا (هن ــ تشو ــ كان) .. هل فقد الوعى ؟ »

ــ « نعم .. سوف يستغرق وقتًا حتى يفيق .. »

قلت وأنا أبحث فى قسم التغليف عن شريط بلاستيكى مناسب :

ــ « ســوف نقيده ونحبســه فى غرفة المحاسب .. هذا هو التصرف الوحيد السليم . لو كان بريئًا فنحن لم نؤذه ، ولو كان هو الطفيل فنحن قد قيدناه ... »

كان هناك كذلك مشمع لاصق عريض ، مما أعطانا خيارات ممتازة .. وهكذا التففنا نحن الثلاثة حول الخفير فاقد الوعى ، كأننا أطفال يغلفون هدية عيد ميلاد .. وعندما انتهينا كان من المستحيل عليه التحرر... لو كان بشريًا .. ثم كممت فمه لسبب بسيط هو أننى لا أريده أن يتوسل لأحد رفاقه عبر الباب كى يخرجه .. ربما لم يكن هو فعلاً .....

كان القفل موضوعًا على غرفة المحاسب لكنه مفتوح.. هكذا قمنا بجر الجسد الثقيل إلى داخل الغرفة ، ثم أصررت أنا على إخراج جثة الزوج مروان لنضعها فى الممر .. لو كان هناك شىء يخرج من الجثث ، فلا أريد أن نكون المسئولين عن رجل مقيد يواجه هذا الشىء وحده فى غرفة مغلقة ..

هكذا قمنا بغلق القفل بالضغط ، ومعنى هذا أنه لا خروج للخفير إلا بمفتاح .. لكنه لن يموت جوعًا بهذه السرعة طبعًا ...

جلسنا على الأرض مرهقين فلم نعد نبالى بثيابنا ..

نظرت لساعتى .. الثانية بعد منتصف الليل .. سبع ساعات منذ دخلنا هذا المتجر المشئوم ..

قال (هن ــ تشو ــ كان) :

ــ « اعتقادى أن إيقاع الأحداث سيتسارع .. الانهيار الجليدى سيتسارع ويغطى أكواخ القرى . السبب هو أن الشىء يجب أن يتم قبل الشروق وقبل أن يخرجونا من هنا ... »

ــ « أى شىء ؟ »

ــ « لا أعرف .. ربما هو هلاكنا وربما هو تحرر هذا الشىء .. لا نعرف حتى اللحظة .. »

قالت نادين وهى ترتجف وتحتضن طفلها بعصبية :

ــ « لابد أن أهلى قد جنوا رعبا .. فى المعتاد أكون فى دارى عند منتصف الليل عندما يكون عملى ليلاً .. لقد اختفيت أنا والطفل تمامًا بالنسبة لهم .. »

ثم التفتت نحو الصغير :

ــ « هل أنت جائع ؟.. لحظة .. »

هنا لاحظت للمرة الأولى أنها تحمل حقيبة صغيرة تتدلى من كتفها .. عبثت فيها وناولته (باكو) من البسكويت .. لكن الصبى لم يبد مفتوح الشهية جدًا ..

قال (هن ــ تشو ــ كان) :

ــ « علينا أن نجد مخرجًا .. »

قالها وهو ينظر لأعلى مفكرًا ... ثم هتف :

ــ « ريفاات .. لابد أن هناك طريقة لبلوغ السطح . من الممكن أن يكون هذا هو الحل .. »

ـ 9 ـ

رفعت :

هل تعتقد أن العمال لم يحاولوا ذلك ؟

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

هناك احتمال لا بأس به أنهم لم يفكروا فى ذلك ..

نادين :

هناك سلم فى الطابق الرابع يشبه سلالم المطافئ وهو يقود للسطح .. لا أعرف إن كان هناك باب مغلق أم لا ، لكن الأمر يستحق المحاولة ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

تتكلمين عنى وريفات .. أما عنك والطفل فقد حان وقت النزول للانضمام للجميع تحت .. أعتقد أن الزحام مزعج لكنه أكثر أمنًا ..

نادين :

لكنى أعرف مكان السلم ..

رفعت :

يا لها من معلومة قيمة !.. كأن العثور على سلم يحتاج لمعونة .. فعلاً سوف تزيحين عنا عبئاً لا بأس به لو انضممت للجموع ..

نادين :

ليكن .. لكن كونا حذرين .. هيا يا أشرف ..

(**الطابق الرابع**)

رفعت :

أعتقـــد أن السلم سيكون فى الركن .. جوار مخرج الطوارئ أو داخله ..

(**هن – تشو – كان**) :

لا يوجد معنا كشاف .. انتظر ..

رفعت :

فانوس الأطفال الكهربى هذا .. فكرة ممتازة مع أنك هشمت الزجاج بركلتك .. على كل حال لقد ولى عصر الحفاظ على المعروضات .. خذ راحتك .. المهم أن نجد حجرين جافين .. ها هما .. وهذا هو السلم المعدنى .. يقود لفتحة فى السقف .. لكنها مغلقة فعلا ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

صوب الكشاف علىّ وسوف أتصرف ..

رفعت :

لا يستجيب .. هناك قفل يغلقه بإحكام . اضرب بقوة ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

يحتاج إلى ضربة أقوى .. انتظر ..

رفعت :

يا للروعة ..!.. لقد انقلبت بحركة بهلوانية ، بحيث صارت قدماك أمام الفتحة ثم قمت بتثبيت جذعك وركلت الغطاء .. مع قوة هذين الساقين كان لابد أن يتهشم ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

هل أنت آت يا ريفاات ؟

رفعت :

أصعد فى هذا الدرج ؟.. لو كان الأمر كذلك يا بنى لما احتجت لك أصلاً ولأنهيت المشكلة فى دقائق .. سوف أنتظرك طبعًا ... قلبى لا يتحمل صعود هذه الدرجات .. هيا خذ الفانوس واصعد أنت ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

ليكن .. لكن خذ الحذر ...

رفعت :

أعتقد أنك الوحيد المهدد هنا .. رائع !.. انقلبت بسهولة بهلوانية ليصير رأسك لأعلى من جديد . والآن تحشر جسدك عبر الفتحة .. حظًّا سعيدًا .

(صوت ضوضاء)

(صوت صراخ مكتوم)

(هن ـ تشو ـ كان) :

ريفات .. ساعدنى !

رفعت :

ماذا يدور عندك ؟.. أنت مختف بالكامل .. (هن ـ تشو ـ كان) .. تكلم .. أنا لا أرى سوى السماء السوداء من هذه الفتحة ..

(الصراخ مستمر)

(صوت ارتطام ومقاومة)

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

تشا ساريانا .. كيو سارايانا .. جوانغ سارايانا ..!!

رفعـت :

لا وقت للطقوس أيها المخبول .. لكن .. هذا يعنى أن هناك خصمًا .. خصمًا قابلاً لقتاله ..

(**صوت ضوضاء**)

رفعـت :

(هن ـ تشو ـ كاااان) !.. لماذا لا ترد ؟ لا ا ا ا ا ه !!!

الجــزء الثالث

أســطورة الطفيــل

هناك خطر آت .. خطر داهم يحاول السيطرة على الكون .. هذا الخطر سوف يخترق إحدى الثغرات التى تربط عالمنا بعالم الشياطين.. عندها ينهار عالمنا لندخل فى الحقبة المغلفة . عليك أن تعــرف كل شىء عــن الــ (نامو أميتابها) لأنك قد تكون الرجل المختار ..

ـ 1 ـ

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق..

عندئذ يبدأ فجر النافاراى ..

* * *

التقاليد هى عماد التحضر فى ذلك العصر البعيد ، وبالتحديد فى قرية (تو جيجى) بالتبت ، حيث تم اللقاء الأول بين الكاهن الأخير و(جيدون شوكى نيما) .. إنه ــ فيما يقولون ــ التناسخ العاشر للاما (بانشن رينبوش) العظيم .. برغم أن النافاراى لا يؤمنون بالتناسخ ، فقد كانوا يحترمون عقائد الآخرين ..

لقد حكيت لكم جزءًا من هذا اللقاء من قبل ، واليوم أذكركم به ..

إنه أهم الأحداث فى حيــاة (هن ــ تشو ــ كان) وإن كان لا يعنينا بالطبع على الإطلاق ...

وقد دخل (هن ــ تشو ــ كان) الدير على ركبتيه حتى صار أمام اللاما فمرغ جبينه فى الثرى .. عنــدما رفع رأســه وجد أن (شوكى نيما) يجلس القرفصاء لكنه على ارتفاع متر عن الأرض .. شىء كهذا يطير صواب الفلاحين ، لكن (هن ــ تشو ــ كان) قام بنفسه بأشــياء مماثلة مرارًا ، ويعـرف أنه لا معجزات هنا

إلا معجزة التركيز الذى يصل إلى درجة ذوبان الذرات فى الذرات .. (النافاراى) يصنعون مثل هذا وأكثر ..

قال اللاما العظيم :

ــ « أنت (نافاراى) ... عرفت هذا من ثيابك .. »

يقول الكاهن الأخير وهو يطرق برأسه :

ــ « يطلقون علىّ الزهرة الزرقاء أيها اللاما العظيم .. »

ــ « وأنت لا تؤمن بنا . لا تؤمن بى .. »

ــ « تعلمت أن أحترم معتقدات الآخرين أيها اللاما العظيم .. »

ارتفع اللاما إلى أعلى أكثر وأغمض عينيه كأنه يحلم وبدأ يتكلم بصوت خفيض :

ــ « إن (التانترا) قد زحفت على معتقدات البوذية ولوثتها .. المهايانا المقدسة صارت تتخذ طابعًا شهوانيًا يقدس قوى الأنوثة والخصوبة فى الكون : البراكريتى Prakriti .. الربة الهندية كالى . ومن هنا ولدت فكرة الأمهات المقدسات (مدترى) .. واضطروا لاختراع الكثير من الآلهة لتمثل قوى الشهوانية هذه .. »(*)

(*) كلام دقيق .. خرافات طبعًا لكنها دقيقة وليست وليدة خيال المؤلف .

باختصار : لم تعد الأمور كما كانت فى الماضى السعيد .. الكلمة التى يقولها الجميع بدءًا بسائق سيارة الأجرة وانتهاء بذلك اللاما البوذى العجوز ..

قال اللاما بينما (هن ــ تشو ــ كان) يصغى باهتمام :

ــ « كل شىء يحدث فى الحياة يميل لأن يتكرر إلى الأبد .. لهذا نجد أن ما يدهشنا اليوم هو تكرار لعشرات المرات السابقة . وهذا الميل للتكرار لا ينجم عن طاقة تهوى التكرار وإنما ينجم عن عدم وجود قوى تعرقله . فى كتاب (ساميوتا نيكايا) يطلق حوتاما على هذه الظاهرة اسم (بالى كابا).. العالم بدأ بالــ (بيكوهو) وهو الخلق الأول .. ومن الميلاد حتى الموت تدور الدورة .. لكن البداية غير واضحة وهذا يعنى أنه لا وجود لها ، لأنه فى البوذية يتساوى تعبيرا (غير واضح) و(غير موجود) . »

كان (هن ــ تشو ــ كان) يعرف هذه الأمور برغم أنها صعبة التصور .. إنها من صميم صميم البوذية ..

أردف اللاما وهو يعلو بعض الشيء :

ــ « يقول بوذا لأناندا : لو لم يولد أناندا فهل نرى له شيخوخة أو موتًا ؟.. يقول أناندا : لا يمكن يا سيد.. هذا يعنى أن عدم الوضوح يعنى عدم الوجود كذلك . وهكذا تجد أن لنا

أربع حقبات .. الحقبة التى تغلف وهى تمثل انهيار العالم .. الحقبة المغلفة وهى الانهيار .. الحقبة النامية هى بدء الحياة من جديد .. الحقبة المكتملة هى ذروة نمو الحياة . يجب أن تفهم معنى (نامو أميتابها) أى (تكوين اللاشىء) .. »

كان (هن ــ تشو ــ كان) قد اعتاد هذا الكلام الغريب ، وعرف أنه يقود إلى مفهوم (الأرهان) **Arhan** .. المفهوم الأهم فى البوذية وهو الإنسان المكتمل ..

حسب كلام اللاما ، فالكون دورات من الانهيار ثم البدء من جديد ، وفى كل دورة يتطور الإنسان أكثر ليقترب من (الأرهان) ..

قال اللاما (جيدون شوكى نيما) :

ــ « نفس (البالى كابا) تتكرر مع التانترا .. التانترا تحاول السيطرة على الكون لتعجل بحقبة التغليف .. فى كل مرة تحاول قوى الشر أن تصل للسيطرة والاستيلاء على (الدارما) .. قوة الكون كله ، وذلك عن طريق عالم الشياطين . عالم الشياطين مواز لعالمنا ومنه يعبر لنا الأشرار وتحاول قوى البراكريتى أن تصل لعالمنا .. دورة تتكرر كل 1570 سنة ، وفى كل مرة يفشلون لأنهم لو نجحوا لعم الخراب . خذ الحذر أيها النافاراى .. خذ الحذر وأنذر قومك .. »

ثم بدأ يهبط إلى الأرض .. وفتح عينيه ..

كان (هن ــ تشو ــ كان) يعرف التقاليد .. لا يمكنه الاستفسار عن أى شىء لأن هذه غيبوبة .. اللاما نفسه لا يعرف ما قاله ..

كانت النبوءة خطرة ، لأن الدارما هى قوة الكون ذاتها ومن العسير تصور أن تسلب من التبت ..

لكن (هن ــ تشو ــ كان) قدّر أن هذا الكلام هذيان على الأرجح ..

لم يصرح بهذا بل خفض رأسه وتراجع إلى الخلف دون أن يعطى اللاما ظهره..

ـ 2 ـ

الأخ ميانج :

تعال أيتها الزهرة الزرقاء .. تعال فأنت تتجمد بردًا وقد تراكم الثلج على غابات حاجبيك وضفيرتك . تعال إلى حيث النار والشاى بالزبد .

(هن ـ تشو ـ كان) :

تحية أيها الأخ العظيم (ميانج) .. النافاراى لا يبرد لأنه يوقد نيرانه الداخلية .

الأخ ميانج :

هل ذهبت إلى (تو جيجى) أيتها الزهرة الزرقاء ؟

(هن ـ تشو ـ كان) :

بالطبع .. (فى سخرية) وسمعت الكثير من كلام الماهايانا ..

الأخ ميانج :

أنت قابلت تناسخ اللاما وتسخر ؟

(هن ـ تشو ـ كان) :

نحن لا نؤمن بالتناسخ أيها الأخ العظيم ..

الأخ ميانج :

إنما أرسلتك كى تسمع منهم وتفقد كبرياء النفس .. أسوأ أنواع الكبرياء أن تعتقد أنك وحدك تملك الحقيقة وأن من عداك لا يملك منها شيئًا .. طلبت منك أن تقدم له الاحترام وأن تمرغ رأسك فى الغبار أمامه ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

وقد فعلت أيها الأخ (ميانج).. لكن لم أتجاوز هذا .. معنى أن أصدق نبوءته أن أصير منهم .. معنى أننى نافاراى هو أننى أراهم على خطأ .

الأخ ميانج :

سوف تعود له وتطلب الصفح .. سوف تمرغ رأسك فى الثرى من جديد ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

سأفعل يا أخ ميانج ..

الأخ ميانج :

لا ترحل الآن بل بعد العاصفة . والآن احك لى ما قال لك ..

* * *

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

هذا كل شىء ..

الأخ ميانج :

رسالته بالغة الأهمية ..هناك خطر آت .. خطر داهم يحاول السيطرة على الكون .. هذا الخطر سوف يخترق إحدى الثغرات التى تربط عالمنا بعالم الشياطين.. عندها ينهار عالمنا لندخل فى الحقبة المغلقة . عليك أن تعرف كل شىء عن الـــ (نامو أميتابها) لأنك قد تكون الرجل المختار ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

ولماذا أنا ؟

الأخ ميانج :

لأنك أفضل رجل لدينا .. أنت أكثرنا اكتمالاً وأدنانا إلى (الأرهان) ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

قال إن الدورة تتكرر..هذا هو الـــ (البالى كابا) ..

الأخ ميانج :

نعم .. كل 1570 عامًا ... ومعنى كلامه معك أننا ندنو من إحدى الفترات .. سوف أحبسك فى الدير ويكون عليك أن تعرف كل شىء عن الـــ (نامو أميتابها) أو (تكوين اللاشىء) .. إنه فى كتاب الشوكارا .. يجب أن تعيه وأن تفهمه ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

سأحاول يا أخ ميانج.

الأخ ميانج :

لا أريد منك أن تحاول .. أريد أن تفعل ...

— 3 —

من الواضح تمامًا أننى سأصعد ..

المشكلة هى أن جهد الصعود مع الانفعال وكل هذا الأدرينالين سيجعلان قلبى فى حالة خطرة .. يكفى أن يقول لى أحدهم (بخ) لأسقط ميتًا ..

هناك خطر داهم فوق .. لا شك فى هذا ..

والأهم أنه قادر على هزيمة الكاهن الأخير .. معنى هذا أنه لا فرصة لى على الإطلاق .

هل أطلب عونًا ؟.. لا وقت لذلك .. من الوارد أن أعود لأجد أن (هن ـ تشو ـ كان) قد تحول لذبابة فارغة كالباقين .. فقط لأضع قرص نيتروجلسرين تحت لسانى .. لو كان معى (غالق بيتا) الذى يحمى قلبى من تأثير الأدرينالين القاتل ، لكان هذا رائعًا .. لكننا لسنا فى كافتيريا لو لاحظت هذا .. لابد من الاكتفاء بالموجود ...

توكلت على الله ووضعت ساقًا كالعجين على أول درجة ..

الدرجة الثانية ...

هنا فوجئت بشيء يتدلى من أعلى عبر الفتحة..

وقبل أن أفهم ما يحدث كان جسد (هن ـــ تشو ـــ كان) يسقط فوقى .. لم أستطع تفاديه فسقطت من تحته .. ولحسن الحظ أنه خفيف الوزن وأننى لم أرتفع جدًا ..

هناك سقطت على الأرض ورفعت رأسى إلى الفتحة بسرعة ، فرأيت الضوء الخافت القادم من الفانوس .. ورأيت تلك الأشياء تتحرك أمام خلفية من ظلام الليل .. ثعابين ؟.. ممصات ؟...

إن السطح يعج بها إذن .. لئن كنا نحن أغبياء لم نفكر فى الصعود ، فقد توقع الشيء أننا أذكى .. وانتظرنا فى صبر....

هل ينزل لى ؟..

حبست أنفاسى وكان هذا سهلاً لأن خاصرة (هن ـــ تشو ـــ كان) تجثم على صدرى وتمنعنى من التنفس فعلاً.. رأيت ذلك الشيء يتحرك ثم يبتعد ..

هنا هززت (هن ـــ تشو ـــ كان) متوقعًا الأسوأ .. إنه صامت تمامًا مرتخ كدمية من قماش ..

بذلت جهدًا عسيرًا لأخرج من تحته ثم تحسست شريان عنقه .. إنه حى .. لا شك فى هذا .. يتنفس كذلك ..

لكن عينيه مغمضتان غائبتان .. إنه فى غيبوبة ..

جررته بكثير من الجهد بعيدًا عن تلك البقعة الرهيبة .

هناك فتحة مخيفة فى السقف ، لكن لا أحسب أن إغلاقها مهم .. هذا الشىء برهن على قدرته على الدخول والخروج متى أراد وفى أى مكان ..

تحسست ساعديه وساقيه فوجدت علامات الممصات.. لقد بدأ الشىء العملية ولم يكملها .. لعل (هن ــ تشو ــ كان) كان خصمًا عسيرًا . لعله تملص فى اللحظة الأخيرة والدليل أنه هوى عندى .. الشىء لم يلقه بالتأكيد ...

نهضت وأسرعت أبحث عن أشخاص يساعدوننى .. لن أتمكن من نقله لمكان آمن وحدى ..

* * *

من ناحية الهستيريا فعلت نادين ما بوسعها حتى توقعت أن تصرخ (يا سبعى يا جملى) وهى تمزق شعرها .. لقد أرقدوا (هن ــ تشو ــ كان) على الفراش الذى كنت أرقد عليه منذ ساعة فى الطابق الثانى ، وبذلت جهدًا جهيدًا كى أقنعهم بعدم صب سوائل فى حلقه ..

جلست جواره وتحسست نبضه ..

على قدر علمي هذا أول واحد ينجو من الهجمة .. أنا لا أعتبر ناجيًا إنما اشمأز الكائن مني واعتبرني ميتًا .. لكن كيف يعود لوعيه ؟.. أعرف يقينًا أنه مهم جدًّا لإنقاذنا .. القصة كلها تقوم على كتفيه وعلى الإشارات التي تلقاها من الأخ (ميانج).. دعك من قدراته المذهلة . الآن نحن مجردون فعلاً واقفون في العراء ..

للمرة الثانية يرقد هذا الفتى فاقد الرشد وأنا أقلق عليه .. كانت المرة الأولى عندما التقينا أول مرة ورحل هو لعالم الهلاوس العجيب (زانادو)... هذه المرة قد تكون الأخيرة ..

قالت لي نادين وهي تجفف دمعها :

ــ « ماذا قد دهاه ؟ »

ــ « هاجمه الشيء الذي هاجم لكن مع أمثالي لا يحدث الناس كل هذه الهستيريا .. والآن خير ' تفعلينه هو أن تبقى في الطابق السفلي مع أشرف .. بالمناسبة أين شو ؟ »

تلفتت حولها في غباء ثم قالت :

ــ « لا شيء .. هو مولع بالاختفاء .. هذا لا يثير قلقي .. إنه يحب لعب المساكة . لقد هرعت هنا عندما سمعت ولم ألحظ إن كان خلفي أم لا .. »

ـ « ليس فى جهنم بالله عليك .. نحن فى الجحيم ذاته .. كلما حسبتك تراقبينه بعناية اتضح أنك لا تعرفين أين هو .. أنت تعتقدين أن عالمنا روضة أطفال تلهو فيها الغزلان والأرانب الصغيرة .. »

أصدر (هن ـ تشو ـ كان) أنينًا فمدت يدها تربت على ساعده ..

رحت أنظر فى المكان حيث تناثرت قطع الأثاث والمفروشات .. مكان يجب أن يثير بهجة وخيال أية عروس تجهز بيتها ، لكنه الآن صار يثير خيالات من نوع آخر ..

هنا هتف أحد الرجال الذين ساعدونى فى نقل (هن ـ تشو ـ كان) :

ـ « هناك !.. الصبى سليم .. »

كان الوغـد الصغير يهبط بتـؤدة على الدرج وهو يمسك الترابزين ، محاذرًا أن تتعثر قدماه الصغيرتان .. طريقة الأطفال فى وضع القدمين معًا على كل درجة . فى يده قطعة من البسكويت يقضمها دون نهم .. من أين جاء ؟.. ماذا كان يفعل فى الطابق الثالث أو الرابع ؟

قلت له آمرًا :

ــ « أشرف .. لا تترك أمك ثانية .. »

وهتفت نادين فى جزع كأنها قررت أن تخاف فجأة :

ــ « أشرف .. حبيبى .. لا تثر فزع ماما ثانية .. الطابقان فوقنا خاليان تمامًا وفيهما أشياء مخيفة .. »

نعم .. هناك جثث .. الكثير منها .. بل إن جثة أبيه واحدة منها .. لكنه يملك غريزة استكشاف ممتازة ..

هذا غريب فعلاً ...

ــ « أريدك أن تراقبى (هن ــ تشو ــ كان) والطفل .. مهمة سهلة ومحببة للنفس فلا تقصرى فيها . أرجوك .. »

قالت فى تنمر ، كأنها فارس يستفز الكماة وهو يدور حول الأسوار باحثًا عن مبارزة :

ــ « ماذا تعنى بـــ (مهمة محببة للنفس) ؟ »

ــ « أعنى أنها مهمة محببة للنفس .. »

بعد هذا كله تريد أن تغضب لو لمحت إلى أنها تميل للكاهن الأخير .. شىء يثير الجنون فعلاً .. هذه التصرفات الأنثوية تثير جنونى فعلاً ..

* * *

هرعت إلى غرفة المحاسب ..

أنا أعرف يقينًا أننى أغلقت الباب ، لكنه كان مفتوحًا .. القفل يتدلى فى بلاهة جوار الباب ولا توجد علامة على العنف .. جثة الزوج المغطاة هناك جوار الباب حيث تركتها وهذا يدل على أن الحياة ما زالت باسمة ..

دخلت المكتب فى حذر وألقيت نظرة ..

ربما توقعت أن يكون هناك شخص بالداخل أو طفيل له رأس أخطبوط من عوالم لافكرافت .. لا شىء من هذا .. ليت الأمر كان كذلك ..

ما وجدته كان أكثر رعبًا ...

لا أحد فى الغرفة ...

الخفير الذى كان مقيدًا فاقد الوعى مكممًا جوار الأريكة ، لم يعد هنا . لقد هرب .. هل فعل ذلك بنفسه أم أن هناك من فتح الغرفة وحرره ؟.. هل الخفير حى ؟.. هل هرب أم أن هناك من وجده مقيدًا فنفذ كوابيسى ..؟

شعرت بشىء يتهشم تحت قدمى .. هذا فتات ..

من السهل أن ترى الإطار المزخرف المميز لقطع البسكويت .. هناك من أسقط بسكويتًا هنا وقد بدأ يبتل بفعل هذا السائل الكريه ..

بسكويت ... لم أر كثيرين يحملونه فى الأسبوع الماضى ..

(أشرف) ..!

أشرف كان هنا .. فهل دخل الغرفة والخفير فيها أم بعد ذلك ؟.. بالطبع ليس هو من حرره ..

وشعرت بقشعريرة ..

ما معنى لفظة (طفيل) حقًّا ؟

نحن نتعامل مع حروف جاءت بطريق غامض عبر الأبعاد والآباد .. إنها كهمسات نسمعها عبر صفير الريح .. أربعة حروف قلنا إنها بالعربية ولا نعرف معناها بالضبط ..

لفظة (طفيل) لها معنى آخر فى المعاجم ..

الطفيل قد يكون هو الذى نعرفه ، وقد يعنى كذلك الطفل الصغير جدًّا !!

ـ 4 ـ

نادين :

ما زال لا يفيق .. ليتنا نستطيع أن نطلب الإسعاف ..

رفعت :

ليتنا نستطيع عمل كل شيء .. إن الفجر قد جاء .. إما أن ينتهى هذا الكابوس أو يبدأ .. (هن ـ تشو ـ كان) كان يتوقع أن يبدأ لأن كل شىء سوف ينتهى الليلة ..

نادين :

كل شىء ؟.. لا أعرف ما هو الـ (كل شىء) هذا ..

رفعت :

لا تتحرك يا أشرف .. (بحدة) قلت لك ألا تتحرك أيها الوغد الصغير !

أشرف :

ماما ..!.. إنه يصرخ فى !... نياااااااااااااااااااااااااااااااااه !

نادين :

شىء غريب فعلاً.. أنت عصبى خائف فما ذنب هذا الصغير ؟

رفعت :

ذنبه أنه .. لا شىء .. أعتذر بشدة .. فقط أرجو أن تنزلى معه للطابق السفلى .. لا أريد أن تكونا وحيدين ...

نادين :

لن أترك صديقك هذا أبدًا حتى يفيق .. لقد أنقذ حياتى مرة وكاد ينقذها مرتين ..

رفعت :

نسيت فعلاً .. المشكلة هى أننى عاجز عن الحركة .. لا أستطيع ترككما مع (هن ــ تشو ــ كان) ولا أستطيع ترك أشرف معك .. ولا ..

نادين :

ألن تكف عن هذا ؟.. تقول كلامًا غير مترابط .. هل تحسبنى سأؤذى صديقك ؟

رفعت :

أشرف .. هل دخلت تلك الحجرة التى أغلقناها ؟.. التى حبسنا فيها الرجل ؟

أشرف :

لا .. لا .. بابا هناك وهو مريض جدًا ..

رفعت (**يكلم نفسه**) :

بالطبع .. لو فعلت ذلك لأنكرت .. الحقيقة أنه لموقف محير فعلاً... لكن كلما فكرت فى الموضوع بدا لى منطقيًا أكثر . كنت أنت مع أبيك ثم برزت لنا ووجدنا أباك ميتًا .. ظهرت كذلك بعد موت المدير .. تأتى من الطابق المظلم الذى أخاف أنا نفسى من المشى فيه ، غير مهتم كأنك تنتمى لهذا الرعب .. بل أنت هذا الرعب .. شخص واحد كان يتنقل فى كل مكان طيلة الأمسية ويختفى .. والسؤال هو : هل أنت كذلك منذ البداية أم أصابتك العدوى بشكل ما ؟.. وكيف لى أن أعرف ؟.. وكيف أخبر الآخرين إننى أشك فى طفل فى الثالثة من عمره ؟.. كنت أؤمن دومًا أن الأطفال كائنات شيطانية لكن ليس لهذا الحد .. ترى هل تحتفظ بملامحك الطفولية هذه أم تفتح فاك لتبرز تلك الممصات المرعبة منه ؟... أم أنك تتحور بالكامل ؟

نادين :

إن صاحبك يحرك شفتيه وحدقتاه تتحركان .. إنه يحلم ..

رفعت :

إن ضمير هذا الفتى مثقل .. رأسه يحوى عدة ثقافات وعدة عصور ومئات الأسرار .. لا شك فى أنه يحلم بالكوابيس ..

نادين :

لم لا ننقله للطابق السفلى ؟

رفعت :

سوف يحتشدون حوله ويخنقونه ، ثم إن ظهوره سوف يحدث حالة هلع لا شك فيها لأنهم سيحسبونه مات .. بالمناسبة ماذا يقولون تحت ؟

نادين :

يبحثون عن المدير .. كلهم غضب وهناك رجل أخرج مسدسًا وأطلق طلقتين على الستار الحديدى .. للأسف كانت هذه آخر طلقات معه وإلا لأحدث ضجة لا بأس بها .. غير أن أحد العقلاء أقنعهم بأن المشكلة ستحل لأن الصباح قد جاء . سوف تصل المطافئ وتحــرر الجميع .. لا أحــد يعرف سبب هذا الحصار ويعتقدون أنه إهمال تفاقم بشكل ما ..

رفعت :

وددت لو اعتقدت هذا بدورى .. لكن المشكلة أن أحدًا لن يقتحم المتجر المغلق لأنهم لن يعتقدوا أن أحدًا بداخله ..

نادين :

يصرخون كثيرًا ويضربون الستار المعدنى لكن يبدو كأن أحدًا لا يسمعنا بالخارج ..

رفعت :

وهذا غريب .. يخيل لى أن هناك نطاقًا من الصمت والفراغ حول المتجر كله .. ليس العزل ماديًّا فقط بل هو معنوى كذلك .. عزل حواس لو كان هناك شىء كهذا ..

نادين :

هناك كذلك طفح مجار يتزايد .. إنه آت من الباب الخلفى المخصص للعاملين ، لكنه لم يسبب مشكلة ما .. فقط الرائحة كريهة بشدة ...

رفعت :

هل يكون هذا الشىء قد سد المجارى كذلك ؟..

نادين :

على كل حال هى مشكلة تتكرر من وقت لآخر .. يقولون إنه لابد من استبدال المواسير كلية .. الأستاذ رفاعى يرحمه الله لم يرد أن ينفق كل هذا المال ..

رفعت :

سوف .. أشرف !.. ابق هنا !..

نادين :

قلت لك ألا تصرخ فيه ..

رفعت :

لنقل إننى أصرخ فيه بسبب القلق لا أكثر .. لا أريد أن يبتعد فى ليلة سوداء كهذه .. أشرف !.. أشرف !... قلت لك أن تمسكى به جيدًا ..

نادين :

أنت أثرت رعبه .. ليس هذا ذنبى .. أعتقد أنه ينزل إلى الطابق السفلى ..

رفعت :

لا تتركى (هن ــ تشو ــ كان) لحظة .. أنا سألحق به ..

ـ 5 ـ

الحقيقة أن هذه لعبة قاسية وغير عادلة.

لو تبين أن هذا الطفل هو الطفيل فأنا لا أعرف ما يجب عمله.. لا يمكن أن أقتله وأقول إنه يحمل لعنة ما . الأب الذى فعل ذلك ــ وكان محقًا ــ فى فيلم (النذير) قتله رجال الشرطة قبل أن ينفذ مهمته .. برغم أن الطفل كان هو الشيطان نفسه .

ماذا يمكن عمله ؟.. وماذا لو كنت مخطئًا ؟

كنت أتوقع أن يساعدنى (هن ــ تشو ــ كان) فى الاختيار ، لكنى الآن طفل .. طفل مسن لا يرشده الكبار ولا يعرف ما يجب عمله .

أحبسه ؟.. سوف يعتبروننى مجنونًا وسوف يملأ هو الدنيا صراخًا ..

كنت أفكر فى هذا وأنا أهرع إلى الطابق السفلى ..

كان هناك سيرك كامل .. معظم الموجودين ناموا على الأرض وقد فرشوا السجاجيد والستائر الجديدة .. بعضها كان ما زال فى كيس بلاستيكى .. جوار الجدران تكومت أسر كاملة معظمها غاف .

مشهد يذكرنى بمشهد أنفاق لندن أيام الحرب العالمية الثانية عندما كانت قنابل النازى تمطر لندن .

بعض الناس كان منهمكًا فى الصلاة وبعضهم كان يجلس محدقًا فى السقف بلا تعبير على وجهه .

لاحظت كذلك تسرب المجارى الذى تحدثت عنه نادين .. هناك أكثر من بالوعة فى الأرض لتسهيل التنظيف .. وكان الماء يرتجع من بعضها لكنه ليس غزيرًا لدرجة أن يبلغ كل مكان ، وإلا لما استطاع أحد النوم على الأرض ... فقط هناك رائحة كريهة خافتة .. سيكون الوضع مما لا يطاق بعد ثلاث ساعات لكن ليس الآن ..

طبعًا لم يذق واحد من هؤلاء الزاد منذ ساعات .. المتجر يبيع أشياء كثيرة ، لكنهم بالتأكيد يتمنون لو حبسوا فى مطعم .. الأجمل لو لم يكونوا نزلوا من بيوتهم أصلاً ..

لقد ساد الصمت واستسلم الجميع للقضاء . لم يعد أحد غاضبًا يتهم الإدارة بالإهمال .. أين الإدارة ذاتها ؟.. الإدارة ماتت جوار دورة المياه بالطابق الثالث ..

ونظرت لساعتى .. بعد ساعة تملأ الشمس العالم لكننا لن نراها إلا من النوافذ ذات القضبان .. ربما يمكننا وقتها أن نلفت نظر المارة ..

جوار الباب الرئيس المغلق تمدد الكهربائى (عبد الوهاب) وذلك الموظف الذى عرفت أن اسمه (مختار).. يبدو أنهما ضربا الباب حتى أرهقا فناما حيث هما ..

بالمناسبة : متى ترك (عبد الوهاب) المدير ؟.. كان معه أثناء حرق الممص ، فهل تركه قبل أم بعد الوفاة ؟

من الوارد أن تكون نظرية الطفل هذه خاطئة ، ونعود لنظرية الرجل الذى يخفى الطفيل بداخله ..

وأين الطفل نفسه ؟

* * *

لأسباب فسيولوجية اتجهت إلى الحمام فى ركن المكان .. عرفت مكانه من اللافتة مع الرسم المميز الذى لا تتبين أنه رجل إلا بعد ما تلصق أنفك به ..

الإضاءة جيدة هنا كأن الكهربائى قرر أن يضع الكهرباء كلها فى مكان واحد . هناك رجل وامرأة ناما بالضبط جوار الباب وهو مكان شاعرى فعلاً للنوم ..

يجب أن أخطو فوق ساقى المرأة الممدودتين كى أدخل ..

ولكن .. لحظة ..

لا تبدو لى هذه امرأة نائمة .. لو شئنا الدقة لقلنا إنها تبدو كقشرة امرأة نائمة ..

والرجل ؟.. ماذا عن الرجل ..؟.. لقد تم امتصاصه .. والمرأة كذلك .. إنهما ميتان .. يبدو أنهما اختارا النوم هنا فى ركن المكان فهاجمهما الشىء .. لم يلحظ أحد ما حدث ، مثلما يحدث فى السينما .. تقتل رجلاً ثم تبقيه جالسًا والقبعة على وجهه فيحسبه الجميع نائمًا ..

إذن الطابق الأول ليس آمنًا .. لم يعد كذلك ..

هذا الشىء يتسلى بالهجوم على الأطراف .. كل من ابتعد أكثر من اللازم هوجم على الأرجح .. أعتقد أن كثيرين مروا على ساقى المرأة الميتة وهم يدخلون الحمام ، لكن أحدًا لم يلحظ أو لعل الحياء منعهم من التفرس فى ملامحها ..

إن الأطباء يحملقون فى الناس أكثر من سواهم .. هذه حقيقة ..

بالطبع لم أحدث ضوضاء لأننى تخيلت عاصفة الذعر التى ستجتاح المكان لو عرفوا أن هناك من مات بينهم ..

دخلت الحمام ففعلت ما جئت له ، ووجدت أن مشكلة المجارى موجودة بقوة .. إن المياه تغمر أرض الحمام والمبولة لم تعد تتخلص ما فيها ..

ما هذه الصدفة الكريهة ؟.. ولماذا الآن ؟

غادرت المكان ورحت أفتش بين النائمين عن شخص لن ينهض .. بحثت فى ركن المكان . بالفعل وجدت رجلاً مسنًا جوار باب الطوارئ الخلفى يرقد بين خراطيم الإطفاء وأسطوانات إطفاء الحريق . كان قد مات بدوره ..

دنوت منه أكثر ورحت أتفحص حدقة عينه .

هنا شعرت بحركة غريبة وراء الباب ..

أشرف !

كان الصغير يقف هناك ينظر لى فى رعب . الشعر يغطى أعلى عينيه بتلك الطريقة التى أكرهها ، مع ميله للصمت وسهولة البكاء .. لو لم يكن هذا هو الطفيل فهو طفل سخيف فعلاً ..

قلت له بصوت مبحوح :

ـ « أين أنت ؟.. أمك قلقة بصددك .. »

وفطنت إلى أن صوتى يرتجف .. بالفعل كنت مذعورًا منه ..

لم يرد وظل يرمقنى فى ثبات.. كيف لى أن أعرف ؟.. هل أنت الذى هاجمت هؤلاء البؤساء ؟.. ماذا تنوى عمله بعد ذلك ؟

يمكننى أن أقيده وأراقبه ، لكنه سيملأ الدنيا صراخًا وسوف ينهض كل هؤلاء الأخوة للفتك بالعجوز المجنون الذى هو أنا ..

الأخطر أن يكشف لى عن جانبه القبيح الآن .. نحن بعيدان عن العيون ومعظم الناس نائمون .. ماذا لو خرجت منه الممصات وانتهى أمرى ؟

خطر لى أن أحدًا لا يرانا .. لو هشمت رأسه الآن فلن يعرف أحد ..

لكنه بالطبع كلام فى كلام .. لا أستطيع عمل هذا حتى لو قدم لى شهادة تثبت أنه الشيطان ذاته . أنا الذى أجد صعوبة حقيقية فى تهشيم صرصور بحذائى .. فقط أتخيل ...

قلت له بصوت آمر خشن :

ـ « هلم اصعد وابق مع أمك .. »

يمكن أن يقتلها لكن هذا لم يحدث حتى الآن .. ربما لا يحدث ..

ظل ينظر لى فى بلاهة ، فضغطت على أسنانى لأبدو متوحشًا وقلت بصوت عال :

ـ « **اصعد وإلا هشمت رأسك الآن** ! »

ارتجفت شفته السفلى منذرة بالبكاء ، ثم تركنى واندفع نحو السلم .. فليفعل ما يريد هناك لكن ليبتعد عن صديقى الغائب عن الوعى ..

بمجرد أن ابتعد دخلت من باب الطوارئ أنظر حولى ..

هناك سلم حديدى يشــبه الســلالم الخلفية التى تكون خارج البنايات .. كل المطاردات فى الأفلام الغربية تتضمن سلمًا كهذا ..

ما هذا الشىء المتدلى من أعلى ؟

هناك ضوء خافت يتسرب من نافذة على منور ما .. فى هذا الضوء المغسول الجديد ــ ضوء يوم جديد لم يتلوث بعد ــ رأيت تفاصيل الشىء الذى يتدلى ..

إنه الموظف المنافق .. قدمه محشورة بين درجتين وجسده يتدلى كالجرس ... على وجهه تعبير رعب وخواء لا يمكن وصفهما ..

واحد آخر حذف من قائمة الاشتباه بعد فوات الأوان ..

لا أعرف ما جاء به هنا لكنه على الأرجح قام بمحاولة استكشافية ما ، والنتيجة أنه مات .. لربما كان الطفل هو الذى قتله .. من الجميل أن يقتلوا الطفل فلن أستطيع حذفه من القائمة إلا بهذه الطريقة ..

طفيل .. ط .. ف .. ى .. ل ..

ربما (فتيل) أو (لطيف) أو (فليت).. وربما هى لغة غير العربية تمامًا ....

لماذا لم تكن أكثر وضوحًا فى تحذيراتك أيها الأخ ميانج ؟

— 6 —

رفعت :

أنت (بيومى) .. أليس كذلك ؟

بيومى :

هل تعرفنى ؟.. كيف ؟

رفعت :

الأستاذ رفاعى المدير تكلم عنك .. هل أنت نائم ؟

بيومى :

بالطبع لا يا أستاذ .. من الواضح أننى أرد عليك !

رفعت :

معك حق .. أنا شديد الغباء فعلاً .. اسمع .. ماذا يحدث مع المجارى ؟

بيومى :

هناك ترنشات تصرف للمجارى .. لكن يبدو أن هناك انسدادًا .. لا أعرف السبب لكنه حدث من قبل ..

رفعت :

ولم تأتوا بمن يجرى التسليك ؟

بيومى :

كان الانسداد يزول تلقائيًا فى كـل مـرة .. الأستاذ رفاعى لا يريد أن يكلف نفسه ..

رفعت :

هل تعتقد أنه يمكننا العثور على طريقة للخروج لو نزلنا تحت .. أقصد أننا قد نتمكن من الخروج إلى الشارع ..

بيومى :

لا أعرف يا أستاذ .. لم نجرب هذا ، لكن الصباح قد جاء وعلى الأرجح سوف يخرجوننا وكفى الله المؤمنين شر القتال .. دعك من أن هذا الطفح يدل على أن هناك مشكلة ..

رفعت :

بينى وبينك .. لا أعتقد أن أحدًا سيخرجنا .. المتجر مغلق ولا أحد يسمع صوتنا كما هو واضح .. لاحظ أن هنا أطفالاً قد استبد بهم الجوع والظمأ .. عشر ساعات ليست هينة على الأطفال ..

بيومى :

إذن أنت تقترح أن نجرب النزول بدلاً من الصعود ؟.. لابد من أن أطلب رأى الأستاذ رفاعى ..

رفعت :

إذن أنت لم تلق عبد الوهاب الكهربائى ولا الخفير إبراهيم .. الأستاذ رفاعى قد مات !

بيومى :

هل جننت ؟

رفعت :

وهناك موظف معلق فى درج الطوارئ .. إبراهيم مختف .. يمكنك التأكد بنفسك لو صعدت لغرفة المحاسب .. أقول لك إننا فى مأزق خطير ..

بيومى :

كيف .. كيف ماتوا ؟

رفعت :

هذه قصة طويلة ولن تصدقها .. دعك من أننى غير متأكد من الطريقة أنا نفسى ..

بيومى :

إذن أنت تريد النزول ؟

رفعت :

نعم .. لكن لابد لى من شخص معى .. شخص من المتجر ويعرفه جيدًا .. نحن بحاجة إلى شخص آخر .. هل سنتريسى هنا ؟

بيومى :

تعرفه هو كذلك ؟.. إنه ذلك النائم جوار البوتاجاز هناك .. لقد مزق الورق المقوى ليتغطى به ..

رفعت :

هل يمكنك إيقاظه ؟..

بيومى :

سأفعل ..

* * *

بيومى :

أسهل طريقة هى النزول بمصعد البضاعة .. إنه يقود إلى طابق تحت الأرض .. الواقع أنها الطريقة الوحيدة ..

رفعت :

وهل نمشى من هناك لنبلغ الترنشات ؟.. أنا أبحث عن نفق تحت الأرض يصلح كى نمشى فيه .. أعتقد أننا سنكون فى الشارع بعد قليل .. هناك ترنش آخر فى الزقاق الخلفى .. ربما استطعنا الخروج منه ..

سنتريسى :

لكن لا توجد أرض نمشى عليها . أنت تتحدث عن الغوص فى المجارى يا أستاذ !.. إن مستوى القذارة عال جدًا ..

رفعت :

ربما استطعنا الخوض فيها حتى لو بلغت خصورنا .. ما زلت آمل أن نجد حلاً .. فقط نريد كشافًا .. هذا الكشاف النيون القابل لإعادة الشحن .. سنأخذه معنا ..

سنتريسى :

معى مفتاح المصعد .. يمكننا تشغيله ..

رفعت :

هل الكهرباء تصله ؟.. قد يكون ميتًا كمعظم الأشياء هنا ..

سنتريسى :

لا .. المصباح الأحمر مضاء .. إنه يعمل .. تعال يا بيومى .. سوف نجرب ..

رفعت :

توكلنا على الله ..

— 7 —

تعرف مصاعد البضاعة العتيقة هذه ..

المصعد يشبه القفص بالفعل لكنه واسع .. هو قفص قذر صدئ يحدث فضيحة صوتية عندما يتحرك ، كأنه ديناصور ينهض من سباته فى قاع مستنقع .

فتحوا الستار الحديدى الذى يشبه الأكورديون ، ودخلنا .. ورفع بيومى المصباح النيون ليوسع دائرة الضوء ..

نسيت أن أقول لك إن بيومى نحيل أسمر له شارب كث كأنه يضع مكنسة تحت أنفه ، وسنتريسى بدين له كرش عملاق وهو من الطراز الذى يعرق ويلهث طيلة الوقت ، لكنه قوى البنيان .. طراز مخبرى البوكس الذين تعرفهم ..

بدأ الشىء يتحرك ببطء ... إنه ينزل طابقًا واحدًا كأنه ينزل لقلب الكرة الأرضية . تذكرت مصعدًا يشبهه نوعًا فى ذلك المنجم فى (ديلوير) عندما بدأ البشر يتحولون لحشرات . فقط كانت الكينونة معى هناك وكنت أعرف أنها ستحمينى .. لم تكن معى روحيًا بل ماديًّا كذلك فى صورة فتاة الغرف الباردة التى نسيت اسمها ..

أنا الآن وحدى ..

لكنى قدرت أن هناك حظًا حسنًا ينتظر .. سوف ننزل ونجد طريقة للخروج . لن نخسر برغم الاشمئزاز الشديد والرائحة الكريهة ، وكنت أعرف يقينًا أننى سأخرج فى الزقاق لأصرخ طالبا النجدة ..

كنا ننزل .. وننزل .

أخيرًا صرنا نرى شيئًا يشبه رصيف الميناء .. فقط ليس هذا بحرًا إنما هى مجار قذرة .. مجار ارتفع مستواها حتى بللت الضفتين ..

برغم هذا ما زال مستواها منخفضًا نوعًا فمن أين ترتفع حتى تتسرب فى الطابق الأول ؟

سألت بيومى فمط شفته فى عـدم فهم .. لكن على كل حال سيكون بوسعنا أن نمشى على هذا الرصيف الزلق فى حذر شديد .. سوف يقودنا إلى الخارج . لا شك فى هذا ..

توقف المصعد فمـد سنتريسى يـده إلى الباب الأوكورديون وفتحه ببطء ..

ـ « هل سمعت هذا ؟ »

ـ « سمعت ماذا ؟ »

ـــ « هذا الفحيح .. »

ـــ « لا .. هل تسمع فحيحًا ؟ »

ـــ « نعــم .. »

قال سنتريسى فى حذر وهو يرفع الكشاف أكثر :

ـــ « لربما كان هناك حنش عملاق هنا ؟ »

ـــ « حنش ؟ »

ثم تذكرت أن الحنش هو الاسم العلمى للثعبان عند غالبية الناس .. ثعبان أو أفعى .. حنش .. أصلة أو ثعبان .. حنش .. سام أو غير سام.. حنش ..

شىء ما بدأ يتحرك فى أعماقى .. ثمة نوع من التوتر .. إنه النذير ..

قلت لبيومى همسًا وأنا لا أعرف السبب :

ـــ « وارب الباب .. لا تبقه مفتوحًا .. »

ـــ « ولمــاذا ؟ »

ـــ « فقط وارب الباب ... »

وشعرت بدقات قلبى تتسارع ..

طفيل ...

الكلمة الغامضة التى حيرتنى .. حيرتنا ..

ربما هى الطفيل كما نفهمه ..

ربما تعنى الطفل الصغير ..

لكن هناك تعريفًا ثالثًا حسب المعاجم العربية ..

الطين الراكد ....

ـ 8 ـ

(هن ـ تشو ـ كان) :

هل أنت هنا أيها الأخ العظيم (ميانج) ؟

الأخ ميانج :

شد ما يسرنى أن أراك من جديد أيتها الزهرة الزرقاء . أنت تدنو من التحلل جدًّا لذا صار اتصالنا أهون .. عندما يقترب المادى من عالم المعانى يسمع ويفهم الكثير .

(هن ـ تشو ـ كان) :

هل أنا أموت أيها الأخ ميانج ؟

الأخ ميانج :

الأمر يتوقف عليك يا (هن ـ تشو ـ كان) .. أنت تتعلق بالحافة ، فإما أن تثب إلى الدير أو تسقط فى الوادى السحيق . أنا بانتظارك ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

أنا رأيت وعرفت .. فهمت الخطر الذى حدثتنى عنه يومًا .. عندما عدت من (تو جيجى) وقابلت (جيدون شوكى نيما) .. اليوم أتذكر اللقاء وأستعيد ما قيل فيه . إنه ذات الخطر وقد كرر الدورة مرارًا .. هذا هو الــ (البالى كابا).. كم 1570 عامًا مرت منذ ذلك الحين ..

الأخ ميانج :

وفى كل مرة نجح أحدهم فى التصدى له فى بقعة من بقاع الأرض .. إن الثغرات كثيرة وأنت تقف فوق ثغرة منها .. واليوم هو الموعد ...

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

لكنك قلت إننى (أرهان).. وهذا يعنى أننى الوحيد المؤهل لمواجهة الخطر ..

الأخ ميانج :

أنت الأفضل هنا والآن .. أقرب الأحياء إلى الأرهان ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

لكننى شبه ميت أيها الأخ ميانج .. أكره أن أترك هؤلاء البؤساء لمصيرهم لكن روحى أدنى إلى عالمك منها لعالمى .. لقد امتصوا إكسير الحياة منى ..

الأخ ميانج :

لقد هلكنا وفررت أنت عبر الزمن قبل أن تدرس الـــ (نامو أميتابها) أو (تكوين اللاشىء) .

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

وماذا أفعل ؟

الأخ ميانج :

يجب أن تعرف ..

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

لم تعد لى عينان .. لم يعد لدى عقل .. كتاب الشوكارا ليس معى فى عالمك هذا ..

الأخ ميانج :

سوف أعلمك .. سوف أنقل لك ما أعرفه وعليك أن تستوعبه .. إن الموضوع شديد التعقيد لكنه ليس مستعصيًا على الأرهان .. ولتعلم أن التضحية الكبرى تنتظرك .. هكذا تواجه البراكريتى .. هكذا تنقذ الدارما ....

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

سأحاول أيها الأخ العظيم .. سأحاول ..

الأخ ميانج :

لا أريد أن تحاول .. أريد أن تفعل ..

ـ 9 ـ

راح (هن ـ تشو ـ كان) يركل .. العرق البـارد يحتشد كقطرات اللؤلؤ على جبينه ..

شفتاه تكرران بلا توقف كلمة لم تفهمها :

ـ « نامو أميتابها .. »

يريد منهم أن يناموا ؟.. من هم ؟.. ناموا على كتابها ؟.. كتاب من ؟

إنه يهذى بلا شك .. راحت تمرر أناملها بين خصلات شعره المبتلة السوداء الفاحمة.. إنه طفل كبير .. لا شك فى هذا ولربما كانت تميل له لهذا السبب .. فيه طفولة لا شك فيها .

إنه يركل ويتقلب ويعض أصابعه .. يتقوس بطريقة مرعبة ، فلو كانت ذات خبرة طبية لحسبته مصابًا بالكزاز (التيتانوس) .

نظرت للخلف فرأت (أشرف) يقـف هناك لا يعرف ما يفعل أو يقول .

قالت له وهى تمسك بساعدى الكاهن الأخير :

ــ « أشرف .. أين ذهب عمو (رفعت) ؟.. أريد أن آخذ رأيه .. هل يمكنك أن تناديه ؟ »

قال بطريقة الأطفال السخيفة التى تشى بالنميمة :

ــ « هـــو شـــخط فى .. وقـــال لى أن أظـــل بجـــوارك وإلا ضربنى ! »

ــ « لن يفعل .. فقط هاته حالاً فأنا لا أعرف ما يدور هنا »

كان الكاهن الخير قد بدأ يعض لسانه فعلاً... رغوة ملوثة بالدم تخرج من بين شدقيه وتتجمع على الوسادة . كانت قد رأت حالات صرع من قبل لأن أخاها كان مصابًا به ، وقد بدت لها هذه حالة صرع لا شك فيها ..

إنه يتعذب .. لكن لماذا ؟

* * *

(نامو أميتابها) ..

(نامو أميتابها)

(نامو أميتابها)

(نامو أميتابها)

أنت تبتعد عن الحقيقة أيتها الزهرة الزرقاء .. تمسك واقترب ..

تكوين اللاشىء ..

عندما يكون الشىء واضحًا فهو موجود ...

يقول بـــوذا لأناندا : لو لم يولد أناندا فهـــل نرى له شيخوخة أو موتًا ؟.. يقول أناندا : لا يمكن يا سيد.. هذا يعنى أن عدم الوضوح يعنى عدم الوجود كذلك .

الحقبة التى تغلف وهى تمثل انهيار العالم ..

الحقبة المغلفة وهى الانهيار ..

الحقبة النامية هى بدء الحياة من جديد ..

الحقبة المكتملة هى ذروة نمو الحياة .

ـ 10 ـ

طفيل ... الطين الراكد ..

هل هذا ممكن ؟

كان الشعر الباقى على جانبى رأسى ينتصب رعبًا ..

ـ « بسم الله الرحمن الرحيم !.. ما هذا !! »

قالها بيومى أو سنتريسى .. وهو يرى المشهد ..

كان الطين حيًا .. كـــان يبرز من المجارى وكأن له يدين تحاولان الإمساك بأى شىء ... ثم يرتفع هذا الشىء المريع فتبرز له ممصات ...

ثم يغوص فى الماء محدثًا طرطشة واسعة ، ومكانه يظهر كائن جديد ...

لم يكن الطفيل يشبه البشر .. لم يكن الطفيل هو أشرف .. المجارى كلهــا هى الطفيـــل .. المجارى هى الكائن الحى الذى يهددنا ..

إنه الشىء الــذى حبسنا هنـــا وقطع عنا الاتصـــال وأسدل الستائر ..

الآن فقط أتذكر أن كل وفاة كانت جوار دورة مياه أو بقعة ماء كريهة الرائحة على الأرض ..

من المجارى خرجت تلك الكائنات الغامضة لتهاجم كل شىء .. وقد اختارت هذا المتجر كبداية .. الوجبة الأولى التى تمنحها القوة والطاقة .. ومن هنا تنطلق ..

ولماذا ؟

لماذا هذا المتجر بالذات ؟

لا أعرف الإجابة يقينًا لكن تخمينها سهل ..

هـذا المتجر يقع بالضـبط فـوق ثغـرة من ثغرات جانب النجوم ....

* * *

الآن تخرج هذه الأشياء الرهيبة من الماء القذر الموحل ..

تبدو لوهلة كأنها عمالقة مغطاة بالطين ، لكن شكلها يتغير فى كل لحظة .. تستطيل وتقصر .. ولها صوت كالفحيح بالضبط ...

يدنو أحدها من المصعد فأصيح فى بيومى :

ـ « اصعد !.. بالله عليك اصعد حالاً ! »

يضغط على الزر لكن شيئًا لا يحدث .

هذه الكائنات تستطيع تعطيل المصعد وتستطيع قطع التيار الكهربى والهاتف ..

اضغط ..

يضغط وهو يبكى كامرأة ملتاعة .. لا شىء .. سنتريسى كذلك تكوم فى ركن المصعد وهو يصرخ ..

وعبر قضبان الباب ألصق الشىء نفسه ثم استطال الممص نحو سنتريسى الجالس فى الركن .. إن لهذه الكائنات وجودًا ماديًّا على الأقـــل لهـــذا لا يســـتطيع الشىء التســـرب بالكامـــل – كسائل – عبر القضبان ..

مددت يدى فى جيبى وأخرجت الخنجر الذى كان مع مروان ، وهويت به على الممص .. بقوة .. شعرت بأننى أمزق لحمًا .. لا شك فى هذا .. ولد من الوحل لكنه لحم ....

تراجع الممص للخلف ، وهنا هتف سنتريسى فى جنون :

ـ « **ما هذا ؟.. هاته !** »

وانتزع الخنجر من قبضتى . ثم راح يطعن فى كل اتجاه فى جنون من لا يرى ولا يسمع ولا يعقل ..

ـ « توقف يا أحمق سوف .... »

وسرعان ما وجدت النصل فى كتفى وشيئًا ساخنًا يبلل المنطقة .. هذا المخبول فقد القدرة على التعقل تمامًا .. لو كنت أقل حظًّا لاخترق النصل قلبى ..

ـ « اهدأ بالله عليك ! »

راح يصرخ وهو يضرب بالخنجر :

ـ « عفاريت .. إنها فى كل صوب ! »

هنا حدث شيئان ...

تسلل ممص لينتزع الخنجر منـه بسرعة البـرق وبشكل لم أستطع فهم خطواته ..

الشىء الثانى هو أن ممصًّا تسلل إلى كم بذلتى الأيسر ليزحف لزجًا باردًا رطبًا إلى ما قرب إبطى ....

صرخت فى تقزز ...

وهنا رأيت ذلـك الوجـه المقيت يدنو منى فلا يفصلـه عنى إلا القضبان ..

من الممكن أن تعتبـره وجهًا بشريًا مغطى بالوحـل .. فى موضع الفم هناك فجوة تخرج منها الفقاقيع .. لا توجد عينان .. لا أنف .. رائحة كريهة لا تصدق ..

تراجعت للخلف لكن الممص قربنى من القضبان أكثر ..

هنا شعرت بالشىء فى جيبى ..

مددت يدى الحرة إلى زجاجة الحمض .. هذه المرة اضطررت إلى نزع السدادة بأسنانى مع خطر أن يتطاير الرذاذ إلى عينى .. تصاعد البخار الحارق ..

صوبت جيدًا ودفعت بزخة من السائل الخطر فى وجه مهاجمى ..

أصدر فحيحًا وتصاعد دخان كثيف يحرق العينين ، ثم شعرت به يسقط بعيدًا ..

أعدت غلق الزجاجة فى حذر .. فعال لكنه لن يكفى للنجاة .. إن هذه المجارى اللعينة لا تكف عن الولادة .. الكائنات تخرج منها كأنها يرقات يخرج منها البعوض ..

لماذا يتأرجح الضوء ؟

نظرت إلى بيومى فوجدته على الأرض والمصباح جواره ، بينما ثلاثة ممصات تمتص الحياة منه .. من عنقه ومن ذراعه ومن قدمه ..

فتحت الزجاجة وألقيت زخات على الممصات الثلاثة فتصاعد الدخان وتراجعت هذه عبر القضبان ... لن يطول الأمر فنحن لحم شهى محبــوس فى قفص .. يبــدو الأمر كأننا فئران فى مصيدة يحاول قط هلامى الوصول لها . عندما رأيت فيلم (الفك المفترس) بعد هذا لم أستطع مشاهدة منظر الصياد الحبيس فى قفص بينما القرش الأبيض العظيم يدور حوله مصممًا على الوصول له ..

لن تنقذنا سوى معجزة ...

هنا سمعت صوت الارتطام على سقف المصعد ..ارتطام هز أحشاءنا ..

صرخ سنتريسى فى هلع بصوت كأنثى تلد :

ـ « **لقد جاءوا من فوق !** »

لكنى حبست أنفاسى للحظة .. هنا سمعت صوتًا مألوفًا يقول :

ـ « **تشا سارايانا** .. »

- 11 -

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق..

عندئذ يبدأ فجر النافاراى ..

* * *

الوثبة التالية جعلت (هن ــ تشو ــ كان) يقف على حافة الرصيف بالفعل ..

وصاح وهو يفتح ذراعيه مباعدًا بين أصابعه ، حتى تحول إلى نمر آدمى يوشك على الوثب ..

ــ « جوانغ سارايانا ! »

ثم ..

ــ « كيوه سارايانا ! »

قالها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى حد ..

سأبدأ السارايانا .. احترس من السارايانا .. إليك بالسارايانا ..

لقد نجا ؟.. متى وكيف ؟..

وكيف ينوى أن يواجه كائنات هلامية كهذه ؟...

لاحظت فى الضوء النيون شيئين فى يديه .. الشىء الأول هو مخرطة ملوخية .. نعم . يبدو هذا مضحكًا لكنها الحقيقة .. لقد أحضر معه مخرطة ملوخية يلمع نصلها فى الظلام من قسم الأدوات المنزلية.. الشىء الآخر كان حزمة مغلفة بالمشمع .. واضح أنه كتاب الشوكارا ذاته .

هنا بدأ الصراع ..

هنا بدأ الهول ..

الكاهن الأخير يخوض معركة حياته ..

كان يستعمل المخرطة باعتبارها نوعًا من الننشاكو **Nunchaku** المرتجل البدائي.. يطوح بها يمينًا ويسارًا ثم يدسها تحت إبطه ويخرجها ليبتر هذا العنق أو ذاك .. أو ذاك الممص أو هذا .. ثم يعيدها هناك ..

كان يثب بين الكائنات ..

للمرة الأولى أرى فن التفادى الحقيقى (الرانجانا) .. هكذا كان يفعل فى ممر النيران فى التبت منذ قرون .. بالتأكيد هكذا كان يفعل .. ينحنى تحت ذلك الممص ثم يثب فوق هذا الذراع ويهوى بسلاحه البتار على العنق ، ثم يستعيد وقفته ويطوى السلاح تحت إبطه ..

أحيانًا يبرز ممص مندفعًا نحو صدره فيخرج الكتاب ليتقى به الضربة ، ثم يركله ..

أعتقد أن الكتاب يؤدى دور الدرع الواقى هنا ..

كانت تلك المخلوقات تتوالد من الوحل بلا توقف .. ومن السقف بدأ بعضها يتشكل ليسقط فوقه ، لكنه بالفعل قادر على تفادى مستعمرة نحل غاضب فلا يتلقى لدغة واحدة..

كان يدور فى الهواء ثم يهبط على ساق واحدة ..

يضرب الممصات ثم يتفاداها بالكتاب .. ثم ينقلب ويحش بالنصل بضعة ممصات ..

لقد هزمته هذه الكائنات عندما انفردت به على السطح ، لكن من الجلى أنه تأهب لها جيدًا .. إنه يعرف ما يقوم به ..

قال لى وهو يدير المخرطة حول خصره :

ــ « ريفاات .. جرب أن تشغل المصعد الآن .. »

ــ « لن أتركك هنا وحدك .. »

ــ « بل أنت تزيد متاعبى .. هه !... هيا !.. سوف يتحسن موقفى لو عرفت أنك ...... »

وأولج النصل فى عنق شىء يحاول أن يمسك بخصره .. وأردف :

ـ « سالم ! »

قال سنتريسى وهو يرتجف كورقة :

ـ « هذا الفتى !.. إنه منهم !.. إنه عفريت ! »

ـ « فقط شغل المصعد واشرح لى نظرياتك فيما بعد .. »

ضغط على الزر من جديد .. من الغريب أن الديناصور النائم بدأ يصعد ببطء .. يبدو أن الكائنات مشغولة فلم تعد تفكر فى تعطيله .. وطار (هن ـ تشو ـ كان) ليتمسك بالباب الحديدى ويركل بعض الكائنات التى حاولت التسلق لنا ، ثم عاد يثب على الأرض ..

تذكر أن يصيح :

ـ « ألق لى بالمصباح ! »

تناولت المصباح وقذفته من فجوة القضبان فكان هناك فى اللحظة المناسبة ليلتقطه ، ثم يضعه مستندًا على الجدار .. يريد أن يرى أين تذهب ضرباته بالضبط ...

مشهد كأنه فى كابوس .. الضوء الأبيض و(هن ـ تشو ـ كان) وحده نحيلاً نبيلاً ، وتلك الأشياء تخرج من الوحل بلا توقف فى قاعة عريضة أقرب لنفق مظلم ....

فلتنتصر أيها الكاهن الأخير ..

لا تمت من فضلك .....

أعرف أن هذه هى الميتة التى تفضلها أنت ، لكنها لا تناسبنى أبدًا ..

* * *

لما صار (هن ــ تشو ــ كان) وحده وارتفع المصعد أخيرًا ، بدأ يشعر بنوع من الحرية ..

ازدادت ضرباته سرعة وفتكًا .. لابد أنه جندل عشرين من تلك الكائنات ..

لكنه كان يعرف الحقيقة .. سوف تتوالد هذه الأشياء للأبد .. الأمهات المقدسات (مدترى) .. تأتى من الطين .. من الوحل .. لن تنتهى أبدًا إلا بالتضحية الكبرى ..

هو عرف الــ (نامو أميتابها) ..

تكوين اللاشىء ..

لن يقهر هذه الكائنات إلا أن تسد الفتحة التى تعبر منها إلى عالمنـــا .. الفتحـــة الشيطانية التى سيطلق عليها ريفات اسم (جانب النجوم) ...

تكوين اللا شيء ..

من دون الشوكارا يولد اللا شيء ...

وهكذا تفادى عددًا من الهجمات حتى صار يقف على حافة المستنقع أو المجرور ...

بأعلى صوته صاح :

ــ « نامو أميتابها !! عدن للعدم أيتها الأمهات غير المقدسات (مدترى) ..! »

ثم رفع ذراعيه وجرد الكتاب من الغلاف الواقى البلاستيكى ..

وبلا تردد ألقى بالكتاب ذى الورق المصفر فى الماء القذر ...

ـ 12 ـ

رجـل :

زلزال ؟

امـرأة :

ماذا يحدث هنا ؟

رفعـت :

المتجر كله يهتز بقوة مريعة لكنها ليست تلك الحركة الدوامية المميزة للزلزال .. هناك نوع من التفريغ الهوائى لا شك فيه ..

نادين :

ماذا يحدث هنا ؟.. أين (هن ــ تشو ــ كان) يا دكتور ؟

رفعـت :

سوف تعرفين فيما بعد .. إنه ينقذنا ببساطة شديدة !

نادين :

لقد غادر الفراش فجأة .. كان نائمًا يحلم بالكوابيس .. فجأة وثب من الفراش وصرخ : ريفاات .. ثم اختفى من أمامى ..

رفعت :

إنه تحت .. وكما قلت لك هو ينقذنا .. هل ترين ؟.. لقد استيقظ الناس وهم يرتجفون حيث تمددوا على الأغطية جوار الجدران .. لا أحد يفهم ما يدور هنا وأكذب عليك لو قلت إننى أفهم .. فقط أعرف أنه يواجه معركة حياته ..

نادين :

فلنلحق به ..

رفعت :

لا .. أنت لا تفهمين .. لنقل إنه صراع محترفين .. لا مكان للهواة فيه .. لو نزلنا لزدنا متاعبه فقط ..

نادين :

هل هو يعرف تفسير ما حدث ؟

رفعت :

الآن أعتقد أنه يعرف .. كانت الغيبوبة ضرورية كى يفهم .. إن الأخ ميانج ....

نادين :

من هو الأخ ميانج ؟

رفعــت :

أنا لم أقل الأخ ميانج .. أنت تتخيلين أشياء غريبة .. المتجر يهتز ثانية بقوة .. هل تلاحظين أن مياه المجارى التى تلوث كل شىء بدأت فى التراجع ؟

نادين :

وما معنى هذا ؟

رجــل :

البوابة الرئيسة تنفتح !.. هل ترون النور ؟

امــرأة :

هذا صحيح .. الحمد لله !.. من فعل هذا ؟

رفعــت :

الآن فقط أعتقد أن (هن ــ تشو ــ كان) قد انتصر ..

رجــل :

نافذة العرض قد انفتحت .. الشمس تدخل . أرى المارة !! أرى السيارات !!

يظهر (هن ـ تشو ـ كان)

رفعت :

(هن ــ تشو ــ كان) !.. يبدو أنك حققت المستحيل وأتمنى أن أعرف كيف ..

(هن ـ تشو ـ كان) :

أنا أضرب (سيئ).. لقد اضطررت للتضحية بكتاب الشوكارا يا ريفاات .. كان هذا ضروريًّا .. لكن هذا يعنى أننى بيدى قضيت على حكمة النافاراى وتراثهم .. يوم أموت أنا سوف ينتهى كل شىء ...

رفعت :

لا أفهم شيئًا .. لا أعرف مصدر هذا الخطر الذى واجهناه ولا لماذا هاجم مصر وهذا المتجر بالذات .. لا أفهم ما قمت به أنت وإن كنت أشكرك عليه ...

(هن ـ تشو ـ كان) :

أنا أعرف الكثير الآن .. لقد وجدت الأجوبة .. يمكننى أن أحكى لك .. أين نادين ؟

رفعــت :

هناك .. إنها قادمة فى لهفة ... هل ستخبرها بالحقيقة ؟

(هن ـ تشو ـ كان) :

لا أدرى ..

رفعــت :

هل ستتزوج ؟

(هن ـ تشو ـ كان) :

تدمير الشوكارا لا يعنى أننى لم أعد نافاراى .. ما زلت نافاراى .. فقط غابت أسرار عظيمة فى تلك الثغرة ولن أعرفها ثانية .. لن يعرفها أحد ثانية ..

رفعــت :

وهل أنت نادم على ما فعلت ؟

(هن ـ تشو ـ كان) :

بالطبع لا .. كل هؤلاء الأطفال فى أحضان أمهاتهم ما كانوا ليكونوا هنا .. كان العالم سيتبدل تمامًا من دون الدارما .. هناك

قصة حكيتها أنت لى عن سفينة تغرق عليها قط وكتاب لشكسبير ولوحة .. لو كان عليك إنقاذ شىء واحد فما هو ؟..قلت لك إننى سأنقذ الكتاب .. يبدو إننى كنت مخطئًا .. إننى من الطراز الذى كان سينقذ القط ... إن الحياة مقدسة يا ريفاات ..

نادين :

ماذا فعلت يا (هن ـ تشو ـ كان) ؟.. ما كل هذا الوحل عليك ؟.. هذه الرائحة ..؟

(**هن ـ تشو ـ كان**) :

سأحكى لك كل شىء ... وربما لا أفعل ... إن الناس يخرجون .. فلنخرج معهم .. أريد أن أرى الشمس والنور وأملأ رئتى بالهواء ... لحظة .. لقد نسيت شيئًا ..

رفعت :

ما هو ؟

هن ـ تشو ـ كان (يستدير نحو المتجر ويصيح) :

سوان هاشتاه سارايان !!!

* * *

لقد أنذرهم أنه سيستعمل السارايانا لكنهم كانوا أغبياء .. كانوا يريدون الفتك فقط وها هم أولاء قد دفعوا الثمن ...

خرجنا للشمس غير مصدقين ..

بالطبع ليس هناك من يعرف ما حدث بالضبط باستثناء قلة محدودة ، ولسوف يجد رجال الشرطة مجموعة من الجثث المفرغة ولغزًا غير مفهوم .. ربما يجدون الخفير حيًّا أو ميتًا .. لا أعرف بالضبط ..

أما عن (هن ـ تشو ـ كان) فأنا أعرف أنه سيحكى لنادين كل شىء ، ولن تصدق حرفًا .. سيكون عليها أن تبتلع كل هذه الحقائق بصعوبة بالغة .. ولسوف يكون عليه أن يختار طريقه ... هل سيعيش معها للأبد أم يتركها ويعود للتبت للأبد ...

ما أعرفه هو أن أسطورة الطفيل انتهت ..

وما أعرفه هو أن معرض الرعب كان فى انتظارى ....

لكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

د . رفعت إسماعيل مع القراء

أما وقد انتهينا من سرد القصة ، فقد حان وقت الجزء الذى أضمن له النجاح والإمتاع لأنه يعتمد على خطاباتكم .. هنا لن يساورنى القلق لأننى أعرف أنه يكون جزءًا جميلاً دائمًا .

فى البداية أذكر تنويهًا صغيرًا سبق لى أن ذكره المؤلف فى موقع (بص وطل) على الإنترنت ، وهو أنه ــ وبالطبع أنا ــ لا يجيد التعامل مع موقع فيس بوك ويجده صعبًا شديد التعقيد . أصدقاء أعزاء كثيرون أنشئوا صفحات للمؤلف والسلاسل على فيس بوك ، منهم (أحمد الديب) و(أحمد صبرى غباشى) وهى مجموعات نشطة جــدًا . فقط لا يستطيع المؤلف التفاعل معها ولكنه يتعامل بالطريقــة القديمة مع منتدى روايات . إن التقدم لا يتوقف عند حد ، بحيث صار الذين ما زالوا يتعاملون بطريقة المنتديات موضة عتيقة .

لكن من وقت لآخر تصل للمؤلف رسالة تشكره على رده الرقيق فى فيس بوك أو توضيحه لتلك النقطة الغامضة أو تلك ! يحب المؤلف فعلاً أن يتلقى المديح ، خاصة إذا لم يكن يتعامل

مع فيس بوك على الإطلاق ولم يرسل هذه الرسائل ! نفس سعادة مارك توين بالدكتوراه الفخرية فى الأدب التى نالها برغم أنه لا يعرف معنى (دكتوراه فى الأدب) أصلاً .

يقول المؤلـــف : لا أعـــرف ما يكتب ولا كيف يتعامل هـــذا السكرتير المتطـــوع الذى قـــرر أن يتعامل باسمى ، لكنى أكرر التنويه أننى لم أكتب هذه الخطابات ، ولو أردت قول شىء لقلته من خلال منتدى روايات أو مـــن خلال أصدقائى (أحمد الديب) و(أحمد غباشى) أو مدونة (عمرو عبيد) الجميلة ، أو أرسلته من صندوق بريدى الخاص فى هوتميل . فليحفظنا الله من مغامرة مماثلة لمغامرة الاختراق الذى حدث منذ أعوام . اتفقن ؟... ربما كان هذا الأخ أكثر بلاغة منى أو أظرف أو أذكى ، لكنه ببساطة ليس أنا !

الآن ننتقل لخطاباتكم :

الخطاب الأول شديد الرقة والظرف من الصديق أمجد على :

« ليس من الســهولة بمكان الكتابة لمؤلف اعتدت قراءة مؤلفاته لسنوات طــوال ، حتى ظننت أنك تعرفه حــق المعرفة ولا أظننى أبالغ إذا قلت أننى أحسب أن كل فرد من قرائك يظن أنه الأكثــر « فهمًا » أو « تعلقًا » أو « تحمســا » لمؤلفــاتك أو شخصياتها ، لكنى أستطيع أن أقول بأمانة بأننى ارتبطت بسلسلة « ما وراء الطبيعة » منذ العدد الأول وفى نفس سنة صدورها (وأشدد على نفس سنة ظهورها إذ لم يكن تزويدنا بمطبوعات المؤسسة منتظمًا على الدوام) . ولا أظننى أختلف عن الكثير من القــراء إذا قلت أننى كنت مهتمًا بالخوارق والميتافيزيقيا وأساطير الشعوب من قبل أن تقع أولى روايات « ما وراء الطبيعة فى يدى » (بالصدفة طبعًا تمامًا كما وقعت أولى روايات رجل المستحيل قبلها بسنوات ... أظنها عشر !) على أى حال كانت العلامة الفارقة هى الأسلوب السردى الرفيع (راوى القصــة البطــل) وكم المعلومات الواقعيــة المصاحبة لأحداث القصة والتى تجعل بقيتنا ــ نحن القراء ــ نكتشف أننا لســنا بالثقــافة التى ظنناها ، كما لا يفوتنى أن أهنئك على الأسلوب الذى استطعت أن تفرض به شخصية (رفعت إسماعيل)

كمتحدث رسمى بينك وبين القــراء ، أنا أتفق معك فى الرأى فلا أظــن أن « إيان فلمنغ » كان سيستقطب عدسات المصورين لو وقف جنبًا إلى جنب مع « جيمس بوند » بشحمه ولحمه ، ولكن من ناحية أخرى يمكن وضع العجوز رفعت دائمًا فى وجه المدفع فيما إذا ســاءت الأمــور ....

ملخص ما أردت قوله هــو : كتاباتك رائعــة وتحديدًا ســلسلة « ما وراء الطبيعــة » أســوأ كتاباتك لا تهبــط عــن المستوى الذى يرضى غرور القــارئ ، وأفضلها على الإطلاق فى رأيى (أسطورة حارس الكهف) .. »

شكرًا جزيلاً برغم أننى قرأت فى رعب مقطــع (وتحديدًا سلسلة « ما وراء الطبيعــة » أسوأ كتاباتك) ثم فطنت إلى أن هناك ـــ على الأرجح ـــ فاصلاً قبل (أسوأ كتاباتك) . كلام رقيق جدًا ، وقد فهمت فعلاً موضوع إلصاق التهمة برفعت إسماعيل .. رفعت يلصق التهمة بالمؤلف والمؤلف يلصقها برفعت .. هكذا تضيع المسئولية بين الاثنين ..

خطاب آخر رقيق من الصديقة سمر الجيار :

« د. رفعت إسماعيل وعبير وعلاء .. أصدقاء أعزاء لى إلى الآن .. أجد صدقًا وتلقائية غير موجودة حولى .. أو نادرة جدًّا .. أعرف أصدقاء لى من دم ولحم لهم نفس صفاتهم .. مثلاً الكاتب الطنطاوى (أحمـــد محيى الدين خليـــل) يشبه رفعت إسماعيل كثيرًا فى الشخصية ، ولكن ليس فى الشكل إطلاقا . أصدقائى من الدم واللحم كانوا يخذلوننى أحيانًا ونتصافى أحيانًا أخرى .. لكن د. رفعت لم يخذلنى أبدا ، وتعلمت منه الكثير ، ومرت على أزمات شديدة بيسر بسبب نصائحه ، وأسلوبه المميز فى التعامل مع المشكلات .. الذى علمنى إياه . معرفته الموسوعية هى التى شجعتنى على البحث والتعمق فى القراءة .. كم من كتب دلنى عليها ، هو وحضرتك يا د. أحمد .. ولا أعرف كيف أرد لكما جميلكما . وعبير التى تمتاز بخيالها ورقة قلبها .. ولا تمتلك شيئا سواهما ، وصدقها وسذاجتها .. عرفت أنه يمكن لإنسانة بسيطة مثلها .. تقتحمها العين ، أن يكون لها وجود وتميز بين البشر حتى إن لم يعترفوا هم بهذا التميز أو يشعروا به . وعلاء العصبى المتهـور حار الدماء ـ الغريب فى الأرض الغريبة ـ المصرى (الحمش) الشجاع مع رقة فى القلب ، الذى تخرج الكلمات من فيه الصادق كالسياط .. وأنا أقدر هذا فى الإنسان لأننى هكذا أيضا ، وقد تكبدت خسائر كبيرة بسبب لسانى الصادق .. »

الصديق حسام عزت يكتب بعد غياب :

« لسة قافل أغنية الموت .. لو كنت أعرف أن نيللى وهى بتقول « اعملوو حيطاااا » إنها بتغنى لحن كارمينا بورانا مكنتش اتفرجت على الفوازير وقتها . الحقيقة أن موضوع تيمات الرعب مفهمش فيه قوى ... بس الحقيقة لا أتذكر لرفعت اسماعيل أنه خاض بعمق الغموض المحيط بالفراعنة وبالرغم من قناعتى الشخصية أنى لو ركبت آلة الزمن ورجعتلهم .. هلاقيهم ناس عاديين جدًا .. وكل ما خلفوه من آثار عملاقة .. هو مجرد اجتهاد وعمل دءوب بسيط .. أما ما خلفوه على جدرانهم من نصوص مريبة وأساطير .. هى فى النهايةً شىء خاضع للثقافة يفهم بشكل آخر ومنطلق آخر ..

ولكن بعيــدًا عــن قناعاتى .. فما زال الحديث عنهم مثيرًا .. والحديث عن فرعون موسى أكثر إثارة .. وهل هو رمسيس الثانى أم لا .. لعنة الفراعنة .. وسر توت عنخ آمون .. والهرم الأكبر .. والغــرف السرية .. والتحنيط .. ربما لم يخض رفعت إسماعيل كثيرًا فى هذا وأن كنت أرى أن ما يحيط بها من غموض كفيل بإثارة فضول طبيبنا العجوز أتمنى أن تحقق لنا رواية أو اثنتين.. تملؤهــم بالمعلومات المفيــدة غير المغلوطة وتضعهما فى إطار أدبى فريد كما نحن معتادون منك .. »

الحقيقـــة أننى تعاملت مـــع الفراعنـــة فى ثـــلاث قصص يا (حسام) ، والقارئ بصراحة ملول جدًا أكثر منى بمراحل .. مثلاً يقال إننى كتبت حتى الإملال عن مصاصى الدماء برغم أننى لم أكتب سوى خمس أو ست مرات بين سبعين كتيبًا ، كما قيل إننى ألجأ للنار فى حـــل كل قصـــة مع أننى وجدت أن النسبة لا تتجاوز 10% . الخلاصة أن أحدًا لن يتحمل قصة رابعة على الأرجح . لكن التيمة ثرية جدًا وموحية .. وعلى الأرجح سوف أستخدمها فى رواية سميكة يومًا ما .

ما تغنيه نيللى على فكرة ليس هو كارمينا بورانا كلها لكنه جزء منها ..

أكتفى بهذا القدر وأراكم بخير فى المعرض إن شاء الله ، ولكن ليس بالبذلة الكحلية التى تجعلنى فاتنًا لأنها بدأت تبلى عند الكمين .

د . رفعت إسماعيل

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

● صدر من هذه السلسله ●

رقم الإيداع : 11604
977 - 378 - 232 - 8